

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل



٧٦



النهر الأسود



Looloo

www.dvd4arab.com

المؤسسة العربية الحديثة
توزيع الشركة
القاهرة - مصر

١ - حياة أخرى ..

« ثلاثة شهور .. »

نطق مدير المخابرات العامة المصرية هذه الكلمة ،
وصمت ..
كلمة عادية ، لم تكن تعني شيئاً ، سوى تحديد فترة زمنية
مهمة الأهمية فحسب ..

لولا تلك الطريقة التي نطقها بها ..
ولولا تترق الحزن والأسف ، في كل حرف من حروفها ..
ولولا تلك التنييدة الحازة التي أعقبها ..
كل هذه العوامل جعلت النقيب (سمير) يتهدد بذوره ،
وهو يفهمم :

— نعم .. ثلاثة شهور ..

بأث واضحاً ، بعد ذلك التعقيب ، وعلى الرغم من
الصمت الذي أعقبه ، أن تلك الفترة الزمنية تعني لهما شيئاً
هاماً ، وخاصة عندما أطلق مدير المخابرات تنييدة أخرى
عميقة ، وقال في أسف :

— إنه يذل أقصى جهده ، ويُجنّد كل إرادته وعزمته

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل
واحد في سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات ..
ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق
عن جدارة ذلك اللقب الذي أطلقته عليه إدارة
المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

ليستعد كفاءته وقدراته مرّة أخرى ، إلا أن هذا يبدو لي هذه
المُرّة مستحيلًا .

غمغم (سمير) :

— معه لا يوجد مستحيل يأبى .

التفت إليه مدير اخبارات في جِدّة ، ورمقه بنظرة صارمة ،
وهو يقول :

— لست أبالك هنا .

غمغم (سمير) مرتبكًا :

— أغنى يا سيّدى .

عاد مدير اخبارات يدير عينيه إلى نافذته ، التى يقف أمامها
عاقداً كُفَيْه خلف ظهره ، ومتطلّعًا في اهتمام إلى فناء مبنى
الخبايرت العامّة ، ولبت صامتًا لحظات ، ثم غمغم في خُفوت :
— إننى أذكر كل شيء ، كما لو كان قد حدث أمس فقط ..

أذكر كيف أبلغنا قسطنطين (تايوان) بعودة (أدهم)
(منى) إليه ، بعد أن نسفا معتقل الجنرال (أندريه) ، (٢٠) .

(١) راجع قصة (أسوار الجحيم .. المغامرة رقم (٧٥) .

وكيف أنهما كانا في حالة يُرثى لها ، حتى أننا قد سارعنا بإرسال
طائرة خاصّة إلى (تاييه) ، عاصمة (تايوان) ، لإحضارهما
على وجه السرعة ، وعلى متنها فريق طبيّ متكامل ، وحجرة
خاصّة لجراحات الطوارئ ، و

بتر عبارته ، وكأنما وجد أنه من العيث إعادة وصف وشرح
ما قدّمته الدولة لهما ، وزفر في عمق ، وعاد إلى صمته لحظات ،
قبل أن يُردف :

— ولكن مبادرتنا لم تُعدهما كما كانا .

اكست ملاحه بحزن هائل ، وهو يستطرد :

— لقد اتبنا عمليًا .

تمم (سمير) في صوت مرتجف ، يموج بالانفعال :

— ليس بعد .

مطّ مدير اخبارات شفّيته ، وغمغم في حزن :

— أتعثّم ذلك .

عاد يتطلّع مرّة أخرى إلى الفناء ، قبل أن يستطرد :

— لقد تجاوزت إصابة (منى) الحد المسموح به للبقاء ،

فتم نقلها إلى مكاتب الإدارة ، حيث ستقضى ما بقى من عمرها

في أعمال روتينية ، غارقة بين أكوام من الملفات ، تحمل على

غلافها عبارة (سرى للغاية) ، أما هو فلقد كانت إصابة قدمه بالغة ، ولقد بذل الأطباء أقصى جهدهم ، ولكن
بتر عبارته بغتة ، وهو ينحنى إلى الأمام فجأة ، هاتفاً في هفة :

— ها هو ذا .. لقد وصل في مواعده تماماً كالمعتاد .

اقرب (سمير) من النافذة في خطوات سريعة ، وتطلع منها إلى الفناء في اهتمام ، وارتسمت على شفثيه ابتسامة حزينة ، وهو يغمغم :

— نعم .. ها هو ذا .

كانا يتطلعان إلى سيارة عادية ، من طراز مصرى الصنع ، عبرت بوابة الإدارة ، وتوقفت في مكان مخصص لها ، وهبط منها رجل وسيم ، عريض المنكبين ، طويل القامة ، يتكئ على عصا منيئة القمة ، وهو يعرج على نحو ملحوظ بقدمه اليسرى ، وراياه يلوح لحارس البوابة ، هاتفاً في مَرَح :

— صباح الخير يا (حسن) .. أما زلت تحمل ذلك المسدس الضخم .. صدقتى يا صديقى ، إنه يجعل إصابة الهدف أكثر صعوبة .

ثم اتجه بخطواته العسيرة نحو مدخل الإدارة ، وهو يحمل على

شفثيه ابتسامة ساخرة مرحة ، جعلت مدير التحقيقات يغمغم في حزن :

— من العجيب أنه لم يفقد روحه المرحة ، ولا سُخريته من التكتبات أبداً .

قال (سمير) في حزم واعتداد :

— هذه هي بئمة شخصيته يا سيدي .. ولهذا أؤكد أنه ما زال يستحق لقبه .. لقب (رجل المستحيل) ..

* * *

اخترق موكب عجيب ، يتكوّن من ثلاث سيارات ، شوارع الميناء الفرنسى (مارسيليا) ، في سرعة مرتفعة نسبياً ، وتجاهل رجال شرطة المرور تجاوز السيارات الثلاث لمعظم قواعد المرور ، وكأنما يخشون ركابها ..

أما عن رجال الشرطة التقليدية ، المختصة بمكافحة الجريمة ، فقد أشاحوا بوجوههم ، وتظاهروا بأنهم لم يلمحوا فُوهات المدافع الرشاشة ، المطلة من نوافذ السيارات ، الأمامية والخلفية ، ولا ذلك المسدس الضخم ، الذى يحمله ذلك العملاق ، الذى يجلس إلى جوار سائق السيارة الوسطى ، على نحو سافر متحدّ ..

ولقد اعتاد سُكَّانُ (مارسليا) هذا المشهد ، وهذا التصرف ، من رجال الشرطة ، فحتى هم ، ارتجفوا لمراى الموكب ، وارتسم بعض الخوف والدُّعْر في عيونهم ، وهم يبتلسون النظر إلى ذلك الرجل البالغ البدانة ، الذى يحتل وحده المقعد الخلفى كله للسيارة الوسطى ..

لقد كان واحداً من ثلاثة رجال ، يتربعون على عرش الجريمة فى (مارسليا) ..
كان يُدعى (فتورا) ..

ولكن ما أثار قلق سكان (مارسليا) وشرطتها حقاً ، هو أن ذلك المشهد قد تكرر مرتين آخرين هذا الصباح ..

كان هناك موكبان شيبان ، قبل هذا ..
وكان أحدهما يخص (بلوميه) ، والآخر يخص (موروا) ..

(فتورا) ، و (بلوميه) ، و (موروا) ..
عمايقة الجريمة فى (مارسليا) ..

ولقد توقَّف موكب (فتورا) فى نفس المكان ، حيث توقَّف موكبا (بلوميه) و (موروا) من قبل ، أمام مكتبة المدينة العامَّة ، التى تم منع أى مخلوق من الاقتراب منها ، منذ مساء

الأمس ، على الرغم ممَّا يتيح القانون من حقِّ الاطلاع ، وأحيطت بسوارٍ من مزيج من رجال العمايقة الثلاثة ، تحت سمع رجال الشرطة وأبصارهم ..

وقفز الرجال المسلحون من السيَّارتين ، وأحاطوا بالسيارة الوسطى ، حيث هبط منها فيل بشرى بالغ الضخامة ، يضغط بأسنانه على سيجار فاخر ضخم ، ويتصبَّب العرق على وجهه فى غزارة ، من فرط بدانته ، ويبدو رثَّ الهيئة ، على الرغم من الحُلَّة الباهظة الثمن ، ورباط العنق الفاخر ، وهو يغمغم فى سخط :

— تبا لـ (بلوميه) و (موروا) .. ألم يجدنا مكانا أكثر سخافة من هذا ؟

قال هذا ، واتجه إلى سلَّم المبنى ، وراح يصعد درجاته فى صعوبة ، دون أن ينتظر جوانبا ، وأسرع أحد رجاله يفتح باب المكتبة ، وانحنى أمامه فى احترام ، فدلف (فتورا) إلى القاعة الضخمة ، وهو يلوِّح بذراعيه هاتفاً :

— آية سخافة دفعتكما إلى ؟...؟

بتر عبارته بغتة ، وهو يتجاوز (بلوميه) و (موروا) بنظرة ، ويحدِّق فى وجهه وجسد تلك الفاتنة الشقراء ، التى

جلست بينهما ، تدخن سيجارهما الرفيعة ، وتنفث دُخانها في هدوء ..

واتسعت عينا (فتورا) في انبهار ..

إنها لم تكن فاتنة فحسب ..

بل هي الفتنة مجسمة ..

عيناها ..

شفتاها ..

شعرها ..

جسدها ..

كل ذرة في جسمها كانت تهتف بالفتنة ..

وكان جلوسها إلى جوار (بلوميه) و (موروا) يبدو متناقضًا تمامًا ، فكلاهما قبيح الوجه .. (بلوميه) نحيل طويل ، مجعد الوجه ، يُخفي لُخوله بشارب ضخمة ، و (موروا) ، قصير ، ضخمة الوجه ، يبدو ذراعاه وكأنهما قد حصلتا على مزيد من الطول ، بحيث اقترب كُفاه من ركبتيه ، وبات شيئًا بتلك الحلقة المفقودة ، ما بين الإنسان والقرود ..

وبانهار كامل ، ودون أن يلتفت إلى زميلتي مهنته ، اندفع نحو الشقراء الفاتنة ، وصافحها ، وهو يلهث من فرط البدانة واللهفة :

— صباح الخير يا فاتنة الفاتنات .. لقد علمت الآن فقط ، لِمَ بدت لي (مارسيليا) شديدة الإشراق والبهجة هذا الصباح . ابتسمت الفتاة في ثقة وهدوء ، وهي تمدُّ له كُفها مقلوبة ، وكأنما تدعوه لتقبلها في انبهار ..

ولقد فعل ..

واتسعت ابتسامتها ، وحملت مزيدًا من الثقة ، وكأنما تعلم جيدًا تأثير جمالها الفاتن ، وسحرها على الرجال ، ورفعت أحد حاجبيها الجميلين ، وهي تقول :

— رائع يا مسيو (فتورا) .. إنك عبقرى في فن الغزل أيضًا .

أبهجه عبارتها ، فابتسم ابتسامة واسعة ، وتملأت أساريره ، على حين عقد (موروا) حاجبيه الكئيبين ، وهو يغمغم في ضيق :

— ليس هذا وقت الغزل يا (فتورا) .. إنه عمل .

عقد (فتورا) حاجبيه بذوره ، وجذب مقعدًا ، ليجلس إلى جوار الفتاة تمامًا ، ويرسم على شفتيه ابتسامة لبقة ، مغمغمًا :

— العمل لا يعني إجحاف حق الفاتنات يا عزيزي (موروا) .

٢ — اقتلوه ..

تجاهل (أدهم) مصعد مبنى الخابرات كعادته ، على الرغم من إصابة قدمه ، وراح يصعد إلى الطابق الثاني في قفزات سريعة نسيًا ، أثارته دهشة الجميع ، وهو يلقي إليهم التحية بروحه المرححة المألوفة ، حتى بلغ حجرة خاصة ، فطرق بابها ، ودفعه قبل أن يتلقى جوابًا ، ودلف إلى الحجرة ، فتهللت أسارير (قدرى) ، وهتف وهو ينهض من مقعده الضخم ، بجسده البالغ البدانة :

— (أدهم) !.. صباح الخير يا صديقى .. كيف حالك ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يجلس ، قائلاً :

— في خير حال يا صديقى .. إننى على قيد الحياة

والحمد لله .

ارتسمت نظرة مُشفقة في عيني (قدرى) ، وهو يسأله

في الحُفوت :

— وكيف حال سافك ؟

ضحك (أدهم) في مَرَح ، وهو يشير إليها ، قائلاً :

قال (بلوميه) في صرامة :

— ولا يعنى الانشغال بهنْ عنه يا (فتورا) .

هتف (فتورا) في جِدَّة :

— أين هذا العمل إذن ؟.. لقد حضرت دون أن أعلم ماذا

تريدان منى .

غمغم (موروا) :

— قلت لك إنه عمل .

هتف (فتورا) في غضب :

— أى عمل هذا ؟

أشار (بلوميه) إلى الشقراء ، مجيبًا :

— سألها .. إنها صاحبتة .

التفت إليها (فتورا) في دهشة ، فرسمت على شفتيها

ابتسامة فائتة ، شديدة الإغراء ، وهى تقول في دلال :

— لنبدأ بالتعارف أولًا يا مسيو (فتورا) .. اسمى

(سونيا) .. (سونيا جراهام) ..

— إنها تتحدّى الجميع يا صديقى ، وتستعيد طبيعتها بعد
عام على الأكثر .

دمعت عينا (قدرى) ، إزاء تلك الروح العالية ، وهتف
من أعماقه :

— (أدهم) .. أنت عظيم .

اجسم (أدهم) ، وهو يقول :

— بل صبور .

ثم مال نحوه ، يسأله فى اهتمام :

— كيف حال (منى) ؟

أجابته (قدرى) فى إشفاق واضح :

— سيستغرق شفاؤها أضعاف ذلك العام .

تنهّد (أدهم) فى عمق ، وغمغم :

— يا إلهى !! .. إننى أعتبر نفسى مسئولاً عمّا أصابها .

أناه صوت رقيق من خلفه ، يقول فى صوت أشبه بالهمس :

— ولكننى لا أعتبر ذلك يا (أدهم) .

استدار إلى مصدر الصوت ، وارتفع حاجباه فى حنان

دافق ، وهو يهتف :

— (منى) ؟ .. كيف حالك يا عزيزتى ؟

كانت تجلس على مقعد متحرك ، يمزق نياط قلبه كلما
التقيا ، ولكن ابتسامتها كانت تملأ وجهها ، وهى تدفع مقعدها
نحوه ، وتلقى كفيها فى راحته فى لفة وسعادة ، هاتفة :

— يالك من جاحد !! إننى لم أرك منذ ثلاثة أيام .. ألا

تحتاجون فى قسم العمليات إلى أئمة مطالب من قسم الملفات .

احتضن كفيها بكفيه فى حنان ، وهو يتطلع إلى عينيها ،

قائلًا :

— أنت تعلمين أننى ما زلت مقيّدًا بقسم العمليات ، لأنهم

يحللون من مواجعتى بحقيقة موقفى يا عزيزتى ، والواقع أنه

كان ينبغى أن ينقلونا معًا إلى قسم الملفات .

هتفت فى انفعال :

— هراء .

ثم أضافت فى حماس :

— (أدهم صبرى) هو (أدهم صبرى) .. ولن ثوقفك

إصابة نأفذه كهذه .. ستظل ذوؤما أعظمهم .. وستحمل إلى

الأبد ذلك اللقب .. لقب (رجل المستحيل) .

عقد (فتورا) حاجبه فى شدّة ، وهو يستمع إلى (سونيا

جراهام) ، ثم لم يلبث أن استوقفها بإشارة من يده ، وقال :

— مهلاً يامدموازيل (سونيا) ، بلُوح لي أنك تتجاوزين حدودك كثيراً .. لقد آتيت إلى (مارسيليا) ، وأقنعت ذلك الأحمق (موروا) بطلب عقد اجتماع قمة ، وجعلت ثلاثتنا نجتمع هنا من أجلك ، ثم هأنذا تطلبين منّا توحيد جهودنا للقضاء على رجل نجعله .. أى هُراء هذا ؟
نفثت (سونيا) دخان سيجارتها الرفيعة في عصيئة ، وهي تقول :

— إنه ليس هُراءً يامسيو (فتورا) .. إنه عمل ، فهذا الرجل الذي أتحدّث عنه من أخطر رجال المخابرات في العالم أجمع .. بل هو أخطرهم بلا منازع .
لُوح بذراعه في حنق ، هاتفاً :
— وما شأننا نحن برجال المخابرات؟! .. إننا نتاجر في المُنحدرات ، ونرُوج كل ألعاب القمار ، وندير شبكات للدعء

قاطعته (بلوميه) في ضيق :
— كفى يا (فتورا) .. إنك تلقى بيانا عن نشاطاتنا .
عقد (فتورا) حاجبيه ، وهو يتطلّع إليه في سُخْط ، ثم لم يلبث أن هتف :

— فليكن .. المهم أنه لا شأن لنا برجال المخابرات .
مالت (سونيا) إلى الأمام ، وهي تقول في صرامة :
— وعمل هذا الرجل لا يقتصر على المخابرات فحسب .. هل تذكرن ما أصاب (مارسيل) في (باريس) (*) ؟ إن هذا الرجل هو المستول عنه .
هتف (فتورا) في دهشة :

— يا للشيطان !! .. أهو نفس الرجل !؟
أومأت برأسها مغمغمة في صلابة :
— هو نفسه يامسيو (فتورا) .

ترجع (فتورا) في مقعده ، وراح يلهث من فرط بدائته ، ويمسح العرق المتصبّب على وجهه في غزارة ، وهو يغمغم :
— ولكنهم يتحدّثون عن هذا الرجل ، كما لو كان أسطورة .

هتفت في سُخْط :
— إنه لم يَعدْ كذلك .

ثم استطردت في بُغض هائل :
— لقد أصيب إصابة بالغة في آخر عملياته وأصبح عاجزاً .

(*) راجع قصة (ملائكة الجميع) .. المأخرة رقم (٦١) .



رفعوا حواجبهم في دهشة ، وهم يتطلعون إلى انفعالها الشديد في خيرة ،
فراجعت في مقعدها .

التقط (بلوميه) نفسًا عميقًا من سيجاره ، قبل أن يسألها
في شك :

— لماذا تسعين للتخلص من شخص عاجز إذن ؟

هتفت في غضب :

— لأنه لن يلبث أن يتعافى .

رفعوا حواجبهم في دهشة ، وهم يتطلعون إلى انفعالها
الشديد في خيرة ، فراجعت في مقعدها ، وأضافت في مقّت :

— وسأدفع ثمن هذا .

تبادلوا نظرة ساخرة ، وقال (موروا) :

— ثمن هذا ؟ .. أعلمين كم يبلغ ثمننا ؟ .. إننا أكبر ثلاثة
رجال في (مارسيليا) كلها .. إننا نملك كل شيء هنا ..

الفنادق ، والملاهي ، وعلب الليل ، ونوادي القمار ، وحتى
شركات الشحن وسفن البضائع .

أضاف (بلوميه) في صرامة :

— ورجال الشرطة والقضاء .

ابتسم (موروا) لتعقيبه ، وبدأ بابتسامته أكثر بشاعة ، قبل

أن يومئ برأسه موافقًا ، ويقول :

— نعم .. تمتلك كل شيء .

ثم ارتسمت على شفثيه ابتسامة زهوه ، زادته قُبْحًا ، قبل أن
يُردف :

— أى ثمن يمكنك دفعه لنا إذن ؟

نفثت دُخان سيجارها فى قوة ، ثم قالت فى حزم وبطء :
— عشرة ملايين دولار ، تدفعها لكم منظمة
(سكوربيون) ، مقابل ذلك .

وحملت الحقيرة المتجاوره لها ، وفتحتها فى حركة حاذئة سريعة ،
وأفرغت محتوياتها على الأرض أمامهم ، مستطردة :
— ونصفها مقدمًا .

حذق الثلاثة فى رزم الأوراق المالية ، الملقاة أمامهم ، فى
انهار ، ثم هتف (موروا) فى انفعال :

— يا للشيطان !! .. إننى على استعداد لقتل (فرانسوا
ميران) نفسه ، مقابل هذا البليغ .

غمغمت (سونيا) فى سخرية :

— لن تكون مضطرًا لذلك .

هتف (فتورا) فى انفعال :

— حسنًا يا قاتنتى .. متى نبدأ ؟

اعتدلت فى ثقة ، وقالت :

— فور قدوم (أدهم صبرى) إلى هنا .

سألها (بلوميه) فى لهفة :

— وكيف يمكنك إحضاره ؟

نهضت من مقعدها ، وهى تقول :

— إن شقيقه الوحيد ، الدكتور (أحمد صبرى) ، سيلقى

محاضرة هامة هنا ، فى جامعة (مارسيليا) ، بعد أسبوع واحد .

هتف فى انفعال :

— هل نختطفه ، و

قاطعته فى سخرية :

— كلاً يا عزيزى .. هذا الأسلوب ردىء وقديم ، ولقد

استهلك عشرات المرات ، ثم إنه سيجعل (أدهم) يحضر إلى

هنا ، وهو يتوقع تمامًا ما ينتظره ، وهذا يُفقدنا عنصر المباغتة ،

ويجعل الأمر أكثر صعوبة ، ويقلل أيضًا من احتمالات النجاح .

هتف (فتورا) فى صرامة :

— هراء .. ما إن يضع ذلك الرجل قدميه هنا ، حتى تصبح

نهايته حتمية .

ابتسمت في سُخرية ، وهي تقول :

— لقد سمعت هذا القول عشرات المرات من قبل ، ولكنه لم يتحقق أبداً .

ثم انعقد حاجباها ، وهي تُردِّف في مقت :

— إنني أريد لـ (أدهم صبرى) أن يأتي إلى هنا ، دون أن يخطر بباله أنه سيواجه أى نوع من المخاطر .. أريده أن يأتي مطمئناً ، ثم

فرَّقعت سبابتها وإيماماها ، قبل أن تهتف في انفعال :

— اقلوه .. اقلوا (أدهم صبرى) ..



٣ — الحادث ..

توقفت السيارة ، التي تقلُّ الدكتور (أحمد صبرى) ، أمام بوابة جامعة (مارسيليا) ، وهبط هو منها مبتسماً ، وشكر السائق كعادته ، ثم اعتدل يستشق هواء المدينة ، المشبع برائحة البحر ، ويملاً به صدره ، قبل أن يتجه في خطوات واسعة نحو البوابة ..

وفجأة ، المحرف راكب دراجة بخارية عن طريقه ، وقفزت به دراجته فوق الرصيف ، وصرخ في جزع ، وهو يندفع نحو الدكتور (أحمد) :

— احترس يا مسيو .. لقد فقدت سيطرتي عليها .

قفز الدكتور (أحمد) إلى الخلف ، وتراجع محاولاً تفادي الدراجة ، التي مالت بغتة بزواوية مُفزعة ، وارتطم إطارها الأمامي بساقه اليمنى في غضف ..

وتأوه الدكتور (أحمد) ، وشعر بساقه تُعجز عن حمله ، وتهاوى معها أرضاً ، وهو يصرخ في ألم ، على حين قفز قائد

الدراجة البخارية ، وهو يحمل وجهًا مُخْتَفِنًا من شدة الارتباك ،
هاتفًا :

— إننى لم أقصد .. لقد انقطع سلك الكُمّاحة بغتة ..
صدّقونى لم أقصد .

تجمّع المارّة حول الذكور (أحد) ، وحاول أحدهم
معاورته على النهوض ، إلا أنه تأوّه فى ألم .. هاتفًا :

— خذار .. ساقى تؤلمنى للغاية .. يبدو أنها قد أصيبت
بكسر .

ولم يكذبتمُ عبارته ، حتى ظهرت سيّارة الإسعاف عند
الناصية ، وتعالى صوتُ بُوقها المميّز ، وحمل رجالها الذكور
(أحد) على محفّة خاصّة ، وانطلقوا به إلى مستشفى
(مارسيليا) البحرى ..

وهنا ابتسم راكب الدراجة البخارية ، واقترب منه أحد
المارّة ، وقال فى لُحْبث :
— أحسنت .

انتسعت ابتسامته راكب الدراجة ، وهو يقول :



وتراجع محاولاً تضادى الدراجة ، التى مالت بغتة بزواوية مُفرّعة ، وارتطم
إطارها الأمامى بساقه اليمنى فى عُنف ..

— هل أعجبك أدائي؟ لقد تفوّقت على
(بلموندو) (*) .. أليس كذلك؟

غمغم الرجل :

— بالطبع .

ثم أضاف ، وهو يشعل سيجارته :

— والآن اذهب إلى (جان) ، وسينفدك أجرك كاملاً ،

فقد انتهت مهمتك ، ولن يلبث الصيد أن يلقي بنفسه في الفخ .

وايتم في سخرية ، مستطردًا :

— وسيداً حفل الصيد ..

« حادث !؟ .. »

نطق مدير المخابرات الكلمة في مزيد من الدهشة والشك ،

وهو يتطلع إلى وجه (أدهم) ، الذي بدا غاضباً ، وهو يقول :

(*) جان بول بلموندو : ممثل فرنسي شهير ، المشهور بأداء أدوار الخطر بنفسه ،
ودون الاستعانة بديل (دوبلور) ، وهو يحوّز شهرة لا بأس بها في الوطن
العربي .

— نعم ياسيدي .. حادث سير .. ومن الضروري أن
أذهب لرؤيته على الفور .

تردّد مدير المخابرات لحظة ، ثم قال :

— رُوِّدك يا (أدهم) .. إنني أعلم تلك الرابطة القوية ،
التي تربطك بشقيقك ، ولكنني أشتمّ في هذا الحادث راحة
فخ .

هتف (أدهم) :

— فخ بمن؟ .. ولمن؟ .. إنني لم أغد صيِّداً يسعون خلفه

ياسيدي .

أجابته المدير :

— هذا ما تظنّه أنت .

عقد (أدهم) حاجبيه في صرامة ، وهو يقول :

— أيّما ما كان الأمر .. سأذهب .. إنه شقيقي الوحيد .

تنهّد مدير المخابرات في صيق ، وقال :

— أعلم أنه من المستحيل منعك يا (أدهم) .. حسناً ..

اذهب لرؤية شقيقك ، والاطمئنان عليه .

اعتدل (أدهم) ، وهو يقول :

— شكراً ياسيدي ..

أضاف المدير في حزم :

— ولكن اذهب إلى قسم المتكرات أولاً ، فقد تحتاج إلى بعض إنتاجهم هناك .
 ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :
 — اطمئن ياسيدي .. إنني لم أَعُد صيدا .
 وغادر المكتب ، وأغلق بابه خلفه في هدوء ، فالتفت المدير إلى النقيب (سمير) ، وقال في توثر :
 — ما رأيك ؟
 أجابه (سمير) في حزم :
 — رأيي .. أنني أشمُّ منلك رائحة فحَّ .
 عقد المدير حاجبيه ، وهو يقول في جدَّة :
 — و (أدهم) هذا شديد العناد ، حتى أنه يرفض الاعتراف بذلك الأمر الواضح .
 صمت (سمير) لحظة ، ثم غمغم في تردُّد :
 — ربَّما كان يتظاهر بذلك ياسيدي .
 ازداد انعقاد حاجبي المدير ، وهو يقول :
 — ربَّما .. ولكنه في كل الأحوال يحتاج إلى حماية .
 ثم عاد يلتفت إليه ، مستطرذا في حزم :
 — حمايتك ..

نفثت (سونيا جراهام) دُخان سيجارتها الرفيعة في عصيَّة بالغة ، ثم أعادت المنظار المقرَّب إلى عينيها ، وهي تقول في توثر :
 — سيأتي .. سيأتي حتماً .
 ابتسم الرجل ، الجالس إلى جوارها ، وهو يقول :
 — أنت واثقة من نفسك دوماً هكذا ، يا عزيزتي (سونيا) ؟
 هتفت في جدَّة :
 — بالطبع .
 وعادت تلتقط أنفاس سيجارتها في عصيَّة ، قبل أن تستطرد :
 — ولولا هذا ما نجحت في إقناع منظمتك بتقديم مثل هذا العرض ، لأوغاد (مارسيليا) الثلاثة يا عزيزي (شارل) .
 هزَّ (شارل) هذا كفيه في لا مبالاة ، وصبَّ لنفسه كأساً من الخمر ، وهو يقول مبتسماً :
 — إنهم لم يحصلوا على شيء يُذكر .. لقد كانت (سكوربيون) على أتم استعداد لدفع ضعفى هذا المبلغ ، مقابل القضاء على (أدهم صبرى) هذا ، بعد تلك الهزائم التي نالتها على يديه .

لاحظ أنها لم تنبهه إلى حديثه ؛ لأنها مُنهمكة في التطلع —
عبرَ منظارها المقرَّب ، إلى مدخل مستشفى (مارسيليا)
البحري ، فهتف في ضيق :

— ماذا تنتظرين ؟ .. إنه لن يأتي بوجه مكشوف بالطبع ..
سيأتي متكِّراً حتمًا ، فهو كما تعلمين ، صاحب ألف وجه .
قالت في توثر :

— لن يكون تنكُّره سهلًا هذه المرَّة ، وهو يحمل ساقًا
مصابة .

ابتسم مغمغماً :

— أتراهين ؟

عقدت حاجبها ، وهي تلتفت إليه في سُخْط ، ثم عادت
تتابع مراقبتها ، مغمغمة :

— لا يمكنك المراهنة على أى شيء ، عندما يتعلق الأمر
برجل مثل (أدهم صبرى) .

رمقها بنظرة جانبية ، وهو يغمغم :

— حتى مع وجود (فتورا) ، و (بلوميه) ،
و (موروا) ؟

قلبت شفتيها الجميلتين في ازدراء ، وهي تقول :

— هؤلاء الأوغاد الثلاثة ليسوا سوى بالونات منفوخة ،
يسهل تفجيرها بشكَّة دُبُوس واحدة ، لولا ما يحيطون به
أنفسهم من رجال وعتاد .

هتف في دهشة :

— لماذا تلجئين إليهم إذن ؟

ابتسمت في سُخرية ، وهي تقول :

— للسبب نفسه يا عزيزى .

سأها في دهشة :

— أتعنين أنك تعبين بهم ؟

هزَّت كتفيها ، قائلة :

— بلا شك .

وأطلقت ضحكة ساخرة ، قبل أن تُردف :

— إنهم لا يستحقُّون ما هو أكثر من ذلك .

تطلَّع إليها بجزع من الدهشة والخوف ، ثم هزَّ رأسه ،
مغمغماً :

— يا للشيطان !! .. إنك

قاطعه شهقة قويَّة من بين شفتيها ، فهتف بها في انفعال :

— ماذا هناك ؟

لُوحت بكفها في انفعال بالغ ، وهي تهتف بصوت متحشج :

— إنه هو .. ألم أقل لك ؟ .. إنه هو .. هو .

قفز نحو النافذة ، وهو يهتف بدوره .

— هل جاء حقاً ؟

السعت عيناه ، وهو يحدق في جسد شاب وسيم ، يصعد في درجات سلم المستشفى في هدوء ، وهو يهرج على نحو واضح ، و هتف :

— يا لجرأته !! .. إنه حتى لم يلجأ إلى التنكر !!

هتفت (سونيا) في كراهية بالغة :

— سيدفع ثمنها غالياً .

ثم التقطت جهاز لاسلكي صغيراً ، وضغطت زرّه ، هاتفة

في انفعال :

— لقد وصل الصيد يارجال .. وسيبدأ التنفيذ على

الفور .. هياً ..

٤ — وبدأ القتال ..

تهللت أسارير الدكتور (أحمد) ، وهو يرقد في فراشه بالمستشفى ، و هتف في سعادة ، وهو يستقبل شقيقه :

— (أدهم) !! .. يا لها من مفاجأة ! .. إنني لم أتوقع حضورك أبداً .

ابتسم (أدهم) ، وهو يصفح شقيقه في حرارة ، قائلاً :

— كان ينبغي ألا أتوقع العكس مطلقاً .

واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

— كيف حالك ؟

هتف (أحمد) :

— في خير حال يا أخي العزيز .. ولكن كيف خاطرت بالحضور إلى هنا ؟

ضحك (أدهم) ، وهو يقول :

— لم أستطع مقاومة فضولي ، لرؤيتنا معاً ، وكلّ منا يُغالي ساقاً مصابة .

ضحك (أحمد) بدوره ، وقال :

— إننا نتشابه منذ الصغر يا (أدهم) .

تقول الأمثال الشعبية المصرية : « يموت الزمّار ويدها
تعزفان » ..

وتقول أيضاً : « مهما ذبل الورد ، فهو يحتفظ بغيره » ..
وهذا صحيح ..

لقد كان (أدهم) مصاباً ..

وكان قد فقد القدرة على التحرك السريع ، والمباغة ..
ولكنه لم يفقد شجاعته وبأسه ..

لم يفقد جرأته ، ولا استهتاره بالخطأ ..
ولا سرعة استجابته ..

لقد كان الأوغاد الخمسة يقتحمون المكان ، وهم
يتصوّرون أنهم سيقبضون فريسة سهلة عاجزة ، لن تقدر على
مواجهتهم ، أو منافستهم ..

لذا فقد كانت المفاجأة من نصيبهم هم ..

لقد انتزع (أدهم) مسدسه ، من جيب سترته ، بسرعة
خرافية ، واستقبل الرجال الخمسة بسيل من الرصاصات ،
فحطّم أكفّ ثلاثة منهم ، وأطار سلاحى الاثنين الآخرين ، قبل
أن يتحرك الخمسة خطوة واحدة ، فتراجعوا في دُغر ، وهتف
(أحمد) في دُهور :

ثم عادت ملامحه تكتسى بالجدّة ، وهو يستطرد :
« ولكن قُل لي .. ألسنتي أغشى أية محاولات انتقامية حقاً ؟
هزّ (أدهم) كتفيه ، وقال في مرح ، لم يغلّ من رثّة حزن
وأسف :

« اطمنن يا أخى إننى لم أغد ذلك الرجل ، الذى يسمى
الجميع للانتقام منه .. لقد أصبحت مجرد ذكرى .
هتف (أحمد) :

« مُخال .. ستظل ذوقاً أقوى الجميع .

ضحك (أدهم) ، قائلاً :

« أتعشّم ذلك يا أخى العزيز ، ولكن الواقع هو أن
وفجأة ، بتر عبارته ..
وفجأة أيضاً ، تجاهل ساقه المصابة ، وقفز من مكانه ،

ليحمي أخاه بجسده ..

ولى نفس اللحظة ، انطلقت الرصاصات ، لتحطّم رتاج
الباب ، واندفع خمسة عمالقة ، يحملون المدافع الرشاشة ،
داخل الحجره ..

لقد بدأ القتال ..

بدأ الجميع ..

وبدأت لعبة الصيد ..

— ما هذا بحق السماء؟.. ماذا يحدث؟.. وكيف توقعت ذلك؟

أجابه (أدهم) فى حذر ، وهو يعتدل واقفاً ، ومسدسه مضروب تجاه الرجال الخمسة ، الذين اكتشفهم مزيج من الدُغْر والدُهُول :

— هذا الذى يحدث يُبلِّغُ صدرى يا عزيزى ، ويجعلنى أعتقد أننى ما زلت ذلك الرجل ، الذى يخشاه الجميع ، أمّا عن كيف توقعت ذلك ، فلقد تناهى إلى مسامعى صوت إبرة مدفع رشاش ، تُعدُّ للإطلاق ، ولَمّا كُنّا داخل مستشفى عام ، وليس قاعدة عسكرية ، فقد توقعت ما سيحدث .

كانا يتحدثان بالعربية ، فتبادل الرجال الخمسة نظرات حائرة متوترة ، ثم قال أضخمهم بالفرنسية فى غضب :

— لو أنك تتصوّر أنك ستجو من هنا ، فأنت واهم .
مال (أدهم) نحوه ، وقال فى سُخرية ، وبفرنسية سليمة للغاية :

— هكذا!؟.. لماذا أيها الوغد؟.. ما الذى ينتظرنى؟

لوح الرجل بذرعه فى غضب ، وهو يهتف :

— المستشفى كله مُحاط برجالنا ، ورجال (فتورا)

(و بلوميه) ، ولن يجرؤ رجل شرطة واحد على الاقتراب من هنا ، وهناك أكثر من عشرة من رجالنا داخل أروقة المستشفى ، و

قاطعهم (أدهم) ساخرًا .

— رائع .. هذا يعنى أننا نواجه طُغمة من الأوغاد .

هتف الرجل فى جِدّة :

— ولن تغادر المكان حيًّا أبدًا .

خفض (أدهم) فُوْهة مسدّسه ، وهو يقول فى سُخرية :

— أنتقد ذلك؟

تألقت عيون الرجال الخمسة ، وهم يتبادلون نظرات اللَهفة ، فقد خفض خصمهم فُوْهة مسدّسه ، وهو يتكى على عصاه ، وهم خمسة من العمالقة الأشداء ، من ذوى العضلات المفتولة ، والصدور المنفخة ، و

ولم يكن هناك مجال للتفكير الطويل ..

لقد انقضوا على (أدهم) كرجل واحد ..

من المؤكّد أن قطيعًا من الأفيال كان سيصاب بدُهُول عارم ، وبخزى لامثيل له مدى الحياة ، حينما يحطّم رأسه غزال عاجز ..



وبسرعة مُذهلة ، ارتفعت عصاه ، وهوت على رأس أحدهم ، ثم انسحبت
في توافق مُذهل ، لتلوص في معدة التالي ..

وهذا ما حدث ..

لقد انقضَّ الأفيال الخمسة على (أدهم) في شراسة رهيبة ،
وكان هو عاجزاً عن تحريك قدمه بالسرعة الكافية ..
لذا فقد بقي في مكانه ..

وبسرعة مُذهلة ، ارتفعت عصاه ، وهوت على رأس
أحدهم ، ثم انسحبت في توافق مُذهل ، لتلوص في معدة
التالي ، في نفس اللحظة التي حطمت فيها قبضته الأخرى فلك
الثالث ، وقفزت منه لتهشم أسنان الرابع ..
وترجع الخامس في دُحول ..

ترجع ، وهو يحدق في أجساد رفاقه الأربعة ، الذين تناثروا
حوله فاقدى الوعي ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه الكئيبين في
سُخْط و غَضَب هائلين ، وهتف في وحشية :
— أيها الحقير .

وانقضَّ على (أدهم) كثُور هائج ، ولكن قبضة (أدهم)
هشمت أسنانه الأمامية كلها بلكمة كالقنبلة ، ثم ارتفعت
عصاه ، وتحطمت على رأس الرجل ، الذي جحظت عيناه ،
وتروّح في مكانه لحظة ، ثم سقط فاقد الوعي كالطُود ..
كل هذا و (أدهم) لم يتحرك خطوة واحدة من مكانه ..

وهنف (أحمد) في دُغرٍ ودُهول :

— يا إلهي !! لقد هزمتهم يا (أدهم) .

اتسم (أدهم) ، وهو يقول في هدوء :

— شكراً لإطرائك يا شقيقى العزيز .

هنف (أحمد) في جَزَع :

— والآن ماذا سنفعل ؟

جذب (أدهم) مقعدًا متحرِّكًا ، وانحنى يلتقط مدفعين

رشاشين ، وهو يتسم في هدوء ، قائلاً :

— ماذا تتوقَّع أن نفعل يا أخى العزيز ؟ .

ثم غمز بعينه ، مستطرِّدًا :

— سنفرِّ من هنا بالطبع .

توتَّر رجال (موروا) ، الذين يملتون طرقات المستشفى ،

وقال أحدهم في عصيَّة :

— ماذا حدث ؟ .. كان من المفروض ألا تستغرق العملية

أكثر من دقيقة واحدة .. ماذا يفعل (ديمو) ورجاله كل هذا

الوقت ؟

مال رجل آخر نحوه ، قائلاً :

— أظن أنه ينبغي أن نهجم يا (ديلون) .

صاح به في غضب :

— ليس بعد .. أنسيت الأوامر ؟

تردَّد الرجل لحظة ، ثم غمغم :

— أعشى أن يكون ذلك الرجل قد هزم (ديمو) ، و

قاطعته (ديلون) صارتحًا :

— أُجِنِّت يا رجل ؟ .. من المستحيل أن يهزم رجل عاجز

خمسة من رجالنا ، في مثل ضخامة وقوَّة (ديمو) ورفاقه ،

و

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدِّق في مَمْرُ المستشفى في دُهول ،

صائحًا :

— يا للشيطان !!

التفت الجميع إلى حيث ينظر ، وهتفوا بدوْرهم :

— يا للشيطان !!

فقد كان (أحمد) يجلس على مقعد متحرِّك ، ويمد أمامه

ساقه المكسورة ، على حين يحمي جسده بلوح من الصلب ،

انتزعه (أدهم) من النافذة ، وخلفه هذا الأخير ، يدفع مقعده

أمامه ، وهو يرفع فوقه مدفعين آليين ، يصوَّبهما إلى (ديلون)

ورجاله ..

وكانا أشبه بدبابة بشرية ، بُدائية الصنع ..

وصرخ (ديلون) :

— أطلقوا النار يارجال ..

والعجيب أن أوّل من استجاب لندائه كان (أدهم صبرى) ، الذى أمطره ورجاله بسيل من النيران ، كانت كل رصاصة منها تصيب هدفها فى إتقان عجيب ، على حين راخوا هم بدزورهم يُطلقون النيران فى رُعب ، وهم يتراجعون فى ذعر ، ولكن كل رصاصاتهم كانت ترتطم بالدرع الحديدى ، وترتدّ فى عنف ..

وهنف (أحمد) فى حماس :

— يدو أننا مستنصر يا (أدهم) .

صاح (أدهم) فى سخرية :

— زؤنيدك يا أخى العزيز .. إن عملنا لم ينته بعد ..

وواصلتا تقدمهما ، وأسقطت رصاصات (أدهم) سبعة من رجال (ديلون) العشرة ، قبل أن يبلغ مصعد المستشفى ، ويدفع شقيقه داخله ، هاتفا :

— للأسف يا عزيزى .. عاجزان مثلنا لا يملكان اختيار

وسيلة الهبوط .

وأسرع يضغط زرّ الهبوط ، مستطرذا فى مَرَح :

— على الرغم من لفتنى فى طيعة لجنة الاستقبال بأسفل .

وفى أعلى هتف (ديلون) فى غضب :

— لا تتركوهما .. تعقبوهما .

ثم أسرع إلى النافذة ، وأطلّ منها صارمحا :

— لقد فرّ ذلك الشيطان وشقيقه ، وهما بطريقهما إلى

أسفل ، داخل المصعد رقم (٦) .

اندفع الرجال ، الذين يحيطون بالمبنى ، إلى داخله ،

وشهزوا مدافعهم الرشاشة فى وجه المصعد ، وهم يراقبون

المصايح المضينة عند أرقام الطوابق فى أعلاه .

وفجأة ، توقفت تلك الأرقام عند الطابق الثانى ، فصرخ

أحدهم :

— ذلك الوغد .. سيهبط فى الطابق الثانى ، بدلا من

الأوّل .. لا زبب أنه قد توقع أن ننتظره هنا .

أسرع الجميع يصعدون عذواً وقفزوا إلى الطابق الثانى ، وما

إن بلغوه حتى أطلقوا النيران على موضع المصعد فى وحشية ،

قبل أن يتف أحدهم فى سُخط وذُهور :

— يا إلهى !! .. إنها ليسا هنا .

وفى الطابق الأوّل ، كان (أدهم) يعرج فى شدة ، وهو

يدفع مقعد شقيقه المتحرك خارج المصعد ، هاتفا فى سخرية :

— أرايت يا أخى العزيز ؟ .. هؤلاء البدائيون لا يمنحون

عقولهم التدريب الكافى ، حتى أنهم يستجيبون فى سرعة إلى أوّل

٥ — الْمُطَارَدَةُ ..

كان الطُّلُقُ النَّارِيَّ مفاجئًا للجميع ..
إنه لم ينطلق من مسدس (سونيا) ..
بل أصابه ..

وصرخت (سونيا) في ألم و غضب و ذُهور ، عندما طار
مسدسها بعيدًا ، و رأت سيَّارة تندفع نحوها في سرعة ، و تتوقَّف
بصرير إطارات عنيف ، أمام (أدهم) و (أحمد) تمامًا ،
ويقف قائدها بالعربية :

— افقرا بسرعة .

صرخت (سونيا) في غضب :

— مستحيل !!

ثم انقضت على (أدهم) ، صارخة :

— إلى يارجال .

صغفها (أدهم) على وجهها صغفة قويَّة ، وهو يقول في

سُخرية :

— كلاً ياعزيزتي (سونيا) .. فمازلت قادرًا على

هزيمتك ، حتى بساق واحدة ..

خاطر يبدو لهم ، دون دراسة لاحتمالات الخطأ أو الخداع .
ابتسم شقيقه ، قائلاً :

— بل أنت الذَّاهية يا (أدهم) .. لقد خدعهم توقُّفك
بالبطابق الثاني كما توقَّعت ، فغادروا المكان هنا إليه .
مط (أدهم) شفطيه ، وهز كتفيه ، قائلاً :

— كان ينبغي أن يتركوا أحدهم على الأقل هنا .

ودفع شقيقه إلى خارج المستشفى ، وهو يستطرد :

— المهم هو أن نجد هنا سيَّارة ، أصيب قائدها بمس من
الجنون ، وجاء إلى هنا ، على الرغم من المعمة ، و

قاطعته صوت صارم يقول في حنق :

— لن نجد أيَّة سيَّارة هنا يا (أدهم) .

توقَّف (أدهم) ، والفت جانبًا ، ورأى قُوَّة المسدس
المصوَّبة إلى رأسه ، وخلفها وجه (سونيا جراهام) ، وشففتها
الجميلتان ، وهي تستطرد في جِدَّة :

— فقط ربُّما نجد بعد لحظات سيَّارة خاصة .

وجذبت إبرة مسدسها ، مستطردة في مَقْت :

— سيَّارة نقل المُوَلِّي ..

وضغطت زناد مسدسها ..

ودوى الطُّلُق النَّارِيَّ ..

وأصاب هدفه ..

سقطت أرضاً في عنف ، وعادت تصرخ :

— إلى يارجال .

كان (أدهم) يتعاون في تلك اللحظة ، مع قائد السيارة ،
على نقل (أحمد) إلى مقعدها الخلفي ، ثم قفز إلى جوار السائق ،
هائفاً في سُخْرية :

— إلى اللقاء في مدينة أخرى يا عزيزي (سونيا) .

انطلق سائق السيارة بسرعة كبيرة ، وهي تصرخ :

— إنك لن تغادر (مارسيلا) حياً .

تأهى إلى مسامعها صوت ضحكته الساخرة ، والسيارة
تطلق مبتعدة ، في نفس اللحظة التي هبط فيها الرجال لنجدتها ،
فصرخت بهم ، وهي تشير إلى السيارة المتبعدة :

— الحقوا به .. لقد هرب .. الحقوا به .

ولم تكذب تنمُّ عبارتها ، حتى قفز عشرة رجال داخل ثلاث
سيارات ضخمة ، اندفعت كلها في آن واحد خلف سيارة
(أدهم) ..

وبدأت المطاردة ..

مطاردة الموت ، في شوارع (مارسيلا) ..

تطلُّع (أدهم) إلى مرآة السيارة المجاورة له ، وقال في
هدوء ، وكأنما يصف أمراً لا يعنيه كثيراً :

— إنهم يطاردوننا .

غمغم الذكور (أحمد) في توأثر :

— يا إلهي !!

على حين غمغم السائق في هدوء :

— هذا أمر طبيعي .

ولم يكن ذلك السائق ، الذي ظهر فجأة ، وأنقذ (أدهم)
وشقيقه من موت محتم ، سوى النقيب (سمير) ، الذي استطرد
بنفس الهدوء :

— إنهم لن يسمحوا بأن تُفُلت الفريسة منهم على هذا

النحو .

قال هذا ، وهو يضغط دَوَّاسة الوقود بأقصى قوة ، فتزيد
السيارة من سرعتها ، على نحو بالغ الخطورة ، فالتفت إليه
(أدهم) ، وسأله :

— قُل لي .. كيف ظهرت هكذا فجأة ؟ .. وما الذي أتى

بك إلى (مارسيلا) ؟

ابتسم (سمير) ، وقال وهو ينحرف في قوة في شارع

جانبي :

— لقد كنت أترقب حدوث شيء ما ، ولقد أرسلنى أبى ..
أعنى السيد المدير ، لمراقبتك وحمايتك .
غمغم (أدهم) فى سُخرية :
— حمايتى !؟

ثم تجاهل الحديث فى هذا الأمر تمامًا ، وعاد يتطلع إلى مرآة
السيارة ، مستطرذا :
— لقد اقتربوا على نحو خطر ، و

وقبل أن يتم عبارته ، انهالت الرصاصات على زجاج
السيارة الخلفى ، وانفتح الجحيم بأوسع أبوابه ..
* * *

« اطمئنى يا عزيزتى (سونيا) .. إنه لن يذهب
بعيدًا »

قافا (موروا) فى هدوء ، وهو يلتقط أنفاس سيجاره
الضخم ، وينفث الدخان فى قوة ، ويتسم تلك الابتسامة
المقيبة ، التى تكشف عن أسنانه الصفراء ، وتزيد وجهه قبحًا
وبشاعة ، فالتفتت إليه (سونيا) فى حركة حاذئة ، وهتفت فى
سُخط :

— أطمئنى !؟ .. ألم تدرك بعد من تطاردون ؟ .. ألم يلقنك
حادث المستشفى شيئًا ؟

عقد حاجيه فى غضب ، وهو يقول :

— حادث المستشفى لايعنى أكثر من أن هذا الرغد قد
سرق متأزمًا المبادرة ، بوسيلة ما ، وأنه أذكى من رجالنا بعض
الشيء ، وأنا لم نحسن تنظيم قوانا ، و

قاطعته هاتفة فى سُخط :

— وأنه لا قِبَل لكم به .

صاح فى وجهها غاضبًا :

— كفى يا (سونيا) .. لاأحد يتحدث إلى (موروا) بهذا

الأسلوب ، حتى ولو كانت فاتنة شقراء مثلك .

أدركت بغضبه أنها لم تحسن التصرف ، فلان صومها ،

ولانت ملاحظها ، وهى تقول فى ذلال :

— معذرة يا ميسو (موروا) .. إننى أعلم من أنت ،

وأقدر قوتك ، ولكن مطاردة ذلك الشيطان المصرى تصينى

دومًا بالتوتر والعصية .

ابتسم ، وهو يرفع حاجيه ، مغمغمًا :

— دومًا !؟

أسرعت تقول :

— أعنى المطاردات عامة .

أطلق ضحكة مجلجلة ، بدت لها أشبه بصهيل خيول

مریضة ، حتى أنها قد أورتها شعورًا بالغثيان ، قامته في
صعوبة ، وهي تقول :

— كل المطاردات .

اقرب منها ، وابتسم ابتسامته المقيتة في وجهها مباشرة ،
وهو يقول :

— ليس هناك ما يدعو للتوثر هذه المرة يا (سونيا) ، فهناك
ثلاث سيارت تطارد شيطانك المصري هذا ، على متنها سبعة
من أفضل قاصينا ورماتنا ، ويقودها ثلاثة من أبطال السباق
السابقين .

وأنسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

— صدقيني .. ليس لديه ذرة أمل هذه المرة ..

انحنى (أدهم) و (سمير) و (أحمد) بصورة غريزية ، فور
انطلاق الرصاصات ، التي حطمت زجاج السيارة الخلفي ،
ومرقت من الأمامي ، وأصاب جسم السيارة نفسه في مواضع
مختلفة ، فزاد (سمير) من سرعتها ، وهو يتنف :
— هؤلاء الأوغاد يجيدون الرماية كثيرًا .

اعتدل (أدهم) ، وتطلع إلى مرآة السيارة الجانبية ،

قائلًا :

— ليس كثيرًا ، وإلا قتلونا من الضربة الأولى ، أو أصابوا
إطارات السيارة على الأقل ، ولكن قيادتهم جيدة للغاية ،
ولا يعوقهم سوى أن سياراتهم أكثر ضخامة ، و

هتف فجأة :

— انحرف إلى اليسار .

وعلى الرغم من أن الأمر قد جاء مفاجئًا تمامًا ، إلا أن
(سمير) أطاعه على نحو رائع ، يؤكد قدرة رجال المخابرات
المصرية ، على الاستجابة للمتغيرات المفاجئة ، وانحرف في ذلك
الطريق الجانبى الضيق ، وهو يتنف :

— لماذا طلبت ذلك ؟

أجابته (أدهم) في حزم :

— حتى يمكننا تبادل مكانينا .

هتف الدكتور (أحمد) في دُغر :

— (أدهم) .. لا تنس أن قدمك مصابة ، و

قاطعته (أدهم) في صرامة ، وهو يقفز مكان (سمير) ،
الذى تبادل معه الأمكنة بحركة بهلوانية معقدة ، دون أن تتوقف
السيارة :

— خطأ يا أخى العزيز .

واحتمل مقعد القيادة ، وهو يستطرد :

— العمل الوحيد ، الذى يمكنى أداؤه بساق مصابة ،
وبنفس الكفاءة ، هو قيادة السيّارات .

وفجأة ، تحيل للرجلين أن السيّارة قد زادت من سرعتها
بغنة ..

أو أن سرعتها قد تضاعفت ..

وعلى الرغم من ثقة (سمير) بأنه كان يقودها بأقصى سرعة
يسمح بها محركها ، إلا أنه قد لاحظ بمنتهى الدهشة زيادة
سرعتها ، فهتف :

— يا إلهى !! ..

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يندفع أمام السيّارات
الثلاث مغممًا :

— هيا يا (أدهم) .. استعد نشاطك وقُدْرانك .. هيا ..
عُدْ إلى سابق عهدك .

كانت سرعتُه مغرِبة للسيّارات الثلاث ، فهتف أحد
قادعها ، وهو بطل سباق (فرنسا) السابق :

— ذلك الوغد يتصوّر أنه يقود فى براعة .. فلنلقنه درسًا .
انطلقت السيّارات الثلاث بكامل سرعتها خلف سيّارته ،

وهو يغمغم فى سخرية :

— حاولوا أن تستوعبوا ذلك الدرس أيها الأوغاد .. صغار
البحم أقدر على المراوغة من الأفيال .

وفجأة ، ضغط كمّاحة سيّارته ، فبدت وكأنها تتراجع أمام
السيّارات الثلاث ، التى ضغط قائدوها كمّاحاتها بذورهم ،
وهم يهتفون :

— اللعنة !!

ولكن فجأة استعاد (أدهم) سرعتَه ، ومال بسيّارته
جانبًا ، وانتقل بها إلى الطريق العكسى ، وهو يهتف :

— خلّقى أيها الأوغاد .

كان يراوغ السيّارات المتدفعة نحوه ، على الطريق
العكسى ، فى مرونة منقطعة النظير ، يساعده عليها حجم
سيّارته الصغيرة ، وعندما انتقلت السيارات الثلاث الأخرى
لمطارده ، كان حجمها الضخم عائقًا كبيرًا ، وكادت إحداها
ترطم بسيّارة أخرى ، فانحرف بها سائقها على نحو بالغ
الخطورة ، وصرخ المارّة حينما رأوها تفقر ككرة مطاطية ،
وتنزلق كما لو كانت تزحف فوق جليد زلق ، ثم ترطم بمجدار
بناية ضخمة ..

وأطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

— ها هو ذا العدد قد تقلّص إلى سيارتين فحسب .

صرخ الدكتور (أحمد) فى ذعر :

— هذا يتعارض مع عدد دقات قلبى ، التى ارتفعت إلى

خمسة أضعاف .

أطلق (أدهم) ضحكة أخرى ، وقال :

٦ - ساحة المعركة ..

عقد (بلوميه) حاجيه الكئين في اهتمام ، وداعب شاربه الضخم ، وهو يتطلع إلى الخريطة الضخمة ، التي فردها (فتورا) في مكتبه بالميناء ، وقال وهو يشير إلى خط أحمر ، رسمته (سونيا) عليها :

— إذن فأنت تعين أن ذلك الشيطان يتجه إلى (مونت كارلو) مباشرة .

أجابته في توكر :

— هذا ما يشير إليه خط سيره ، طبقاً لما أبلغنا به رجال (موروا) لاسلكياً .

وهنا هتف (موروا) في غضب :

— أظن أنه من الواضح أنني أحمل المهمة كلها على عاتقي منذ البداية ، فرجالي هم الذين اقتحموا المستشفى ، وهم الذين يطاردون الرجل الآن ، ولقد خسرت سيارة ، وأصيب ثلاثة من أفضل رجالي ، و

قاطعته (فتورا) في سُخط :

— كفى .

— حاول أن توقفها عند ذلك الحد يا أعشى العزيز ، فلقد بلغنا الطرق السريعة ، والرحلة من هنا إلى (موناكو) تستغرق وقتاً لا بأس به .

هتف في دهشة :

— هل ستذهب بنا إلى (مونت كارلو) ؟

هز كفيه ، وهو يقول :

— ولِمَ لا؟.. إنها أكثر قرباً من (باريس)، وكل ما نسعى

إليه في النهاية هو مطار .. أليس كذلك؟!

قال (سمير) في قلق :

— هذا صحيح ، إذا ما وصلنا إلى هناك ، فلقد انتقلنا

بالفعل إلى الطرق السريعة ، وأحب أن أنبهك إلى نقطة هامة ،

فهنا تفقد السيارات الصغيرة مميزاتهما ، وتبدأ الكبيرة في

حيازتها .

ولم يكن (أدهم) يحتاج في الواقع إلى هذا القول ، فقد كان

يدرك ، بالتطلع إلى مرآة سيارته ، أنه على حق ؛ إذ كانت

السيارتان تقتربان منه في سرعة كبيرة ..

وكانت هناك قُوَّات خمسة مدافع رشاشة تطلُّ من

نوافلها ..

وكانت هناك ابتسامة ..

ابتسامة المَوْت ..

ثم أشعل سيجاره الضخم ، وراح يلهث كعادته ، ويمسح
عرقه الذى لا يجف أبداً ، وهو يستطرد فى توثر :

— أنت اخترت أن تلعب هذا الدور .. واللعبة لم تنته بعد .
ثم التفت إلى الخريطة ، مستطرداً :

— هل تمتلك شيئاً فى (مونت كارلو) يا (بلوميه) ؟
هزّ (بلوميه) رأسه ، مغمغماً :

— كلاً .. لا سيطرة لنا هناك .

عقد (فتورا) حاجبيه ، وقال فى صرامة :

— هذا يعنى ضرورة إيقاف ذلك الشيطان ، قبل أن
يلغها .

صمت لحظة ، وهو يجفّف عرقه أمام الخريطة ، ثم قال فى
حزم :

— فليكن .. سنرسل (موريس) ورجاله إلى (مونت
كارلو) ، على متن واحدة من طائرتنا الخاصة ، لانتظار ذلك
الشيطان هناك ، وسنبعث خلفه اثنين من طائرات الهليكوبتر ،
مع أربعة من أمهر قناصينا .

هزّ (موروا) رأسه فى ضيق ، ولوّح بذراعه ، هاتفاً :

— إنكم تعقدون الأمور .. أؤكد لكم أن السيارتين
الباقيتين من رجالى سؤفعان به .

عقدت (سونيا) حاجبها فى غضب ، وهى تقول :

— لا ضير من الاحباط يا ميسو (موروا) .

ابتسم فى وجهها ، وهو يقول :

— لماذا يا عزيزتى (سونيا) ؟.. ألا تتقين فى قدراتى ؟

غابت شعورها بالاشمئزاز فى صعوبة ، وهى تبسم فى
وجهه ، مغمغمة :

— عزيزتى (موروا) .. هل لك أن تؤدّى لى خدمة ، لن
أنساها لك مدى الحياة ؟

تهلّلت أساريره ، وهو يبتف فى حماس :

بِم تأمرين يا عزيزتى (سونيا) ؟

صرخت فى غضب :

— لا تبسم ..

ابتسم (أدهم) ابتسامة واسعة ، وهو يقول فى هدوء :

— يا إلهى !.. كم كنت أتوق إلى بعض النشاط !!

ألست عينا الدكتور (أحمد) ، وهو يبتف :

— نشاط؟! .. إنها عملية قتل يا (أدهم) .

أجابهُ وهو ينحرف بسيّارته بغتة :

— ليس بغد ..

انحرفت خلفه سيارتا المطاردة ، وانهاالت عليه رصاصات المدافع الرشاشة ، فراح يتطلق على نحو متعرج ، وهو يجتف :

— أين مسدّسك يا صديقي ؟

انتزع (سمير) مسدّسه ، وهو يقول مبتسمًا :

— لقد فهمت .

وقفز إلى المقعد الخلفي ، محاذًا لمس قدم الدكتور (أحمد)

المكسورة ، وهو يقول :

— معذرة ياسيدي . ولكنها الحرب .

كانت الرصاصات تنهال كالطر ..

وكان (أدهم) يتطلق بالسيّارة في سرعة بالغة ..

وفي مسارٍ بالغ التعرّج ..

ولكن (سمير) ظلّ هادئًا ..

ودون أن ترتجف في جسده شعرة واحدة ، صوّب مسدّسه

نحو إطارات أقرب السيّارتين إليه ، و

أطلق النار ..

وانفجر الإطار الأمامي الأيسر للسيّارة في قوّة ، وقفزت من مكانها وكأَنما أصابتها قبيلة ، ثم انقلبت ، وراحت تنقلب في عُنف ، حتى انفجرت فجأةً بدويّ هائل ، فصرخ قائد السيّارة الباقية في غضب وثورة وسُخط لا مثيل لها :

— اللعنة !! .. لقد قتلهم .. قتل رفاقنا يا رجال .

أثارت الصرخة جنون القناصة الثلاثة ، الذين يشاركونه سيّارته ، فراحوا يمحطون سيّارة (أدهم) بالرصاصات ، وضحك هو ساخرًا ، وهو يقول :

— من الواضح أن هؤلاء الأوغاد لم يلتقطوا الدرس بغد يا صديقي ، فهم يُسرفون في إطلاق النار ، دون أن يربحوا بذلك شيئًا ، على حين لم تطلق أنت سوى رصاصة واحدة ، ربحتنا بها نصف المعركة .

ابتسم (سمير) بدؤره ، وقال :

— وماذا أفعل يا سيادة المقدم ؟ .. إن أوامر الإدارة تقتضي ضرورة توفير المصاريف والنفقات .

أطلق (أدهم) ضحكة مرحة ، وهو يقول :

— صدقت .

هتف الدكتور (أحمد) :

— يا إلهي !! لولا أن (أدهم) يجلس معنا ، لتصوّرت
 أنك نسخة منه في شبابه يا (سمير) .
 مهلت أسارير (سمير) ، على الرغم من دقّة الموقف ،
 والرصاصات المنهمرة ، وهتف في سعادة :
 — أنا !؟ .. يا إلهي !.. سيدي .. إنك تثلجُ صدري بهذه
 العبارة .

وعاد يجذب إبرة مسدسه ، مستطرذا :
 — وتحفزي على إثبات تلك الحقيقة ، أو حتى محاولة
 التقرب منها .
 وعاد يصوب مسدسه إلى إطارات السيارة الأخيرة ،
 و.....

وفجأة ، انطلق نفير قوي ، وهتف (أدهم) :
 — يا إلهي !!
 استدار الجميع إلى الأمام ، ورأوا سيارة بالغة الضخامة ،
 من نوع حاملات البضائع الهائلة ، تندفع نحوهم على الطريق
 الضيق ..

وكانت سرعة السيارة تحول دون تلافى الاصطدام ..
 ولقد ظهرت السيارة العملاقة فجأة ، من منحى قريب ..



وانفجر الإطار الأمامي الأيسر للسيارة في قوة ، وقفزت من مكانها وكأنما
 أصابها قبلة ، ثم انقلبت ، وراحت تنقلب في عُف ..

واختلَّت كل الأمور ، وصرخ الدكتور (أحمد) :
— يا إلهي !! .. إنها النهاية !! النهاية !! .

عقد (موروا) حاجبيه في غضب ، وهو يتف ساخطاً :
— لقد فقدت سيّارة أخرى ، وثلاثة رجال آخرين .
صاحت (سونيا) في غضب :
— ألم أقل لكم ؟

توتّر (فتورا) في شدّة ، وراح يحفّف عرقه في عنف ، وهو
يقول :

— لم يخسر كل شيء بعد .. ليس بغد .

هتفت (سونيا) :

— ولكننا سنخسر كل شيء ، لو واصلتم تجاهلكم لقدرات
هذا الرجل .

قال (موروا) في جدّة :

— كفى يا (سونيا) .. إن رجالى يؤكدون أنه هناك شاب
آخر ، هو الذى يُطلق النار ، وهو الذى دُمّر السيّارة الثانية .
عقدت (سونيا) حاجبها ، وهى تقول في جدّة :
— شاب آخر ؟!

أشعلت سيّارتها في توتّر وعصبيّة ، وقالت في خنق :
— أكلهم كذلك !! .. أكل رجال تلك المخابرات اللعينة
كذلك ؟

هتف (بلوميه) :

— كل رجال المخابرات في العالم كذلك يا (سونيا) .
نفثت دُخان سيّارتها في عصبيّة ، وهى تهتف :
— ليس كلهم .

ثم أضافت في جدّة :

— ولكن من الضروري التخلّص من ذلك الشيطان أوّلاً ،
فهو أخطرهم .. أخطرهم جميعاً ..

ارتفع صوت أزيز متقطع ، من مكتب (فتورا) ، فأسرع
هذا الأخير يفتح درج مكتبه ، ويضغط زرّاً داخله ، فارتفع
صوت يقول ، غبّر جهاز لاسلكى خاصّ :

— هنا (هـ - ١) .. نحن في طريقنا إلى الهدف ..

هتف (فتورا) في لهفة :

— انطلقا بأقصى سرعة ، أنت و (هـ - ٢) ، وألحقا
به ، ودمّراه على الفور ..

ران الصمت لحظة ، ثم هتف الصوت ، غبّر جهاز
اللاسلكى :

٧ — طائرتان وسيارة ..

برزت السيارة العملاقة فجأة في المنحنى ..
برزت كقيل ضخم ، باغت أرنبا صغيرا ، في منحنى ضيق
من منحنيات غابة هائلة ..
وكان الطريق ، في هذه المنطقة بالذات شديد الضيق ..
كان هناك منحدر هائل إلى يمين سيارة (أدهم) ..
وتل مرتفع إلى يسارها ..
وكانت سيارة النقل العملاقة تحتل وسط الطريق تماما ،
ولاتترك سوى شريط ضيق على جانبيها ..
وصرخ الدكتور (أحمد) :
— إنها النهاية ..
والتسعت عينا (سمير) ، وتجمدت الدماء في عروقه
تماما ..
ولكن (أدهم) بقي متالكا جأشه ..
هو الوحيد الذي سيطر على أعصابه ، واحتفظ بهدونه ،
وأخضع له عجلة القيادة ..

— إننا نرى الهدف ، ونقترب منه .. ولكن

صمت لحظة أخرى ، ثم هتف في انفعال :

— لقد ظهرت سيارة عملاقة من المنحنى المواجه .. إنها

سترتطم بالهدف حتما .. سترتطم به و ... بالشيطان !!

وعبر جهاز الأسلكي ..

وبصوت خافت ، ولكنه واضح مسموع ، سمع جميع من

يضمهم مكتب (فتورا) صوت انفجار ..

انفجار سيارتين ارتطمتا وجها لوجه ..



كل ما اختلف فيه ، هو أنه عقد حاجيه في صرامة ..
ومرّة أخرى أثبتت السيّارات الصغيرة كفاءتها ، في
الظروف العسيرة ..
لقد أمسك (أدهم) عجلة القيادة بكلتي قبضتيه في عنف ،
وصاح في صرامة :
— أخفضا رأسيكما .

خفض (أحمد) و (سمير) رأسيهما في سرعة ، وانحنى
(أدهم) يسارًا في سرعة وخفّة ، وترك إطارات سيارته
اليسرى تصعد التل ، واندفع بسرعة رهيبية ، وهو يعتصر
دواسة الوقود في أرضية السيّارة ، بحيث مرق من ذلك الشريط
الصيّق ، الذي تركته السيّارة العملاقة بينها وبين التل ..
وتعطم سقف السيارة الصغيرة ، وهي تنطلق بزاوية مائلة ،
تزيد على الثلاثين درجة ..

رطاز السقف بعيدًا في عنف وقوّة ..

وارتطم بسيارة رجال (موروا) ..

وفي هذه المرّة كان من المستحيل أن يخذلوا خذو
(أدهم) ..

كانت سيارتهم أضخم من أن يفعلوا ..

كل ما فعلوه هو أن أطلقوا صرخة ..
صرخة هائلة ..
ثم وقع الارتطام ..
واصطدمت سيارة المجرمين ، بسيّارة النقل العملاقة ،
وجهاً لوجه ..
وكان انفجارًا هائلًا .
هائلًا بحق ..

قفزت (سونيا) من مكانها ، هاتفة في فرح :

— لقد انتهى .. انتهى (رجل المستحيل) .

انفخت أوداج (موروا) ونفت دخان سيجارته في قوّة ،

وهو يهتف في زهو :

— ألم أقل لكم ؟

عانقته (سونيا) في سعادة ، وهي تهتف :

— واعزيزي (موروا) .. ابتسم .. ابتسم ذوّما .. إن

ابتسامتك تبدو لي أشدّ الابتسامات جاذبية ، بغد أن فعلت

ما عجزت عنه أشدّ القوى في العالم .

ابتسم (موروا) ابتسامة واسعة ، على حين عقد (فتورا)



قاطعه (فتورا) في غضب هائل :

— أنت واثق مما تقول ١٩

و (بلوميه) حواجبهما في غيرة ، عندما ارتفع أزيز جهاز
اللاسلكي ، في درج مكتب الأول ، فضغط زر الاتصال في
خفق ، قائلاً :

— حسناً .. لقد فهمت .. لقد انفجرت سيارته .. أليس
كذلك ؟

تجمدت الدماء في عروق الجميع ، عندما ارتفع صوت قائد
الهليكوبتر يتف في دُهول ، لم يفارقه بغد :

— كلاً يا مسيو (فتورا) .. ليس هذا ما حدث .. لقد نجنا
ذلك الشيطان .. نجنا بحركة بهلوانية ، شيطانية ، مذهلة .. ذلك
الانفجار الذي سمعته هو صوت ارتطام سيارة رجال مسيو
(موروا) الأخيرة ، بسيارة النقل العملاقة .. أما ذلك
الشيطان ، فقد أتى عملاً لم أشاهده ، حتى في أفلام ال
قاطعه (فتورا) في غضب هائل :

— أنت واثق مما تقول !؟

شُخب وجه (سونيا) في شدّة ، وأرخت ذراعيها من حول
عنق (موروا) ، وتراجعت في دُهول وامتقاع ، وقائد
الهليكوبتر يتف :

— تمام الثقة يا مسيو (فتورا) .. لقد تركت الحادث خلفي .

وها هو ذا ذلك الشيطان يطلق أمامي .. كل ما حدث هو أنه
قد فقد سقف سيارته .

احتقن وجه (فتورا) في شدّة ، وهو يتف :
— الخقن به أي الغي .. الخقن به أنت وزميلك ، وأمطراه

برصاصاتكما .. أريد منك أن تبلغني خبر القضاء عليه في أقرب
وقت .

وأبى الاتصال في عنف ، وبقي صامتًا ، محقن الوجه ،
وران الصمت على المكان كله ، حتى تنح (موروا) في
توثر ، وقال في تحفوت :

— إننا لم نخسر بقُد .

ثم ابتسم ابتسامة باهتة ، مستطرذا :

— سقتصه طائرتنا (فتورا) حتمًا .

التفت إليه (سونيا) ، وتطلعت إليه بجملام جامدة ، ونظرة
خاوية ، وهي تقول :

— مسيو (موروا) .

مال نحوها بابتسامته الباهتة ، مغمغمًا :

— نعم يا عزيزتي (سونيا) .

صرخت في ثورة :

— لا تبسم ..

لم يصدّق (سمير) و (أحمد) نفسيهما ، عندما اعتدلت
سيّارة (أدهم) مرّة أخرى على الطريق ، مع ذوى الانفجار
المائل خلفها ، وبعد أن فقدت سقفها ، وسما (أدهم) يقول
ضاحكًا :

— ما رأيكما ؟

اتسعت عينا (أحمد) ، دون أن يتفوه بحرف واحد ، عل
حين هتف (سمير) مبهورًا ، مشدوها :

— إنك أستاذ .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— أراهن أنك كنت تستطيع أن تفعل مثلها .

هتف (سمير) :

— مستحيل !!

أجابه (أدهم) مبتسمًا في تعاطف أبوي :

— كل ما محتاج إليه هو قليل من الخبرة .

هتف (سمير) :

— بل الكثير منها .

قال (أحمد) في توثر :

— معذرة لقطع حديثكما ، ولكن هناك طائرتي هليوكوبتر

تطار داننا .

لم يكذبتم عبارته ، حتى ارتفع هدير مِرْوَحَتِي المليونكوبتر
على نحو واضح ، وهتف (أدهم) ساخراً :

— يبدو أن مثل تلك المطاردات لا تنتهي أبداً .

وهنا انهال عليهما سيل من الرصاصات ، وصاح (سمير) :

— انطلق بأقصى سرعة ياسيدي ..

انطلق (أدهم) بأقصى سرعة ، وراح يندفع في خطِّ
متعرج ، كما في المطاردة السابقة ، إلا أن إحدى الطائرتين بقيت

خلفه ، على حين تجاوزته الأخرى ، واستدارت تواجهه ،

وراحتا تطلقان النار على السيارة في غزارة ، وهتف (سمير) :

— يا إلهي !! لقد حاصرنا هذه المرة ياسيدي ، وإنما

لمعجزة أننا استطعنا تفادي رصاصاتهما حتى الآن .

هتف به (أدهم) :

— أطلق النار يا صديقي .. إنهما تحلقان على ارتفاع

منخفض .

أطلق (سمير) رصاصتين ، أصابتا جسم المليونكوبتر

الأمامية ، وارتدنا عنه في قوَّة ، فهتف في بأس :

— إنهما مصفحتان .

ألقى (أدهم) نظرة سريعة ، على الطائرة الأمامية ، ثم

قال :

— لاحظ أنها غير مزودة بمدافع رشاشة خاصة ، لذا فهي

تعتمد على وجود قناصة محترفين ، وهذا يستتبع فتح النوافذ ،

لإطلاق النار منها .

هتف (سمير) :

— هذه النوافذ تبدو من تلك الزاوية مسطحة ، بحيث

يستحيل التصويب عليها بدقة ، خاصة مع تلك السرعة ،

وبذلك المسار المنحني ، الذي تتخذه .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وتوقف بصره عند صخرة تحدّد

بدء طريق جانبي ، وقال في صرامة :

— سأجعلها في مستوى أفقي إذن .

ثم هتف في حزم :

— تشبنا .

وفي اللحظة التالية ، حدث ما لا يصدِّقه عقل ، وما جعل

قائد المليونكوبتر الخلفية والقناصين داخلها يتسمران في دُهول

جارف ..

لقد توجه (أدهم) نحو الصخرة تماماً ، ودفع عجلاته

الأمامية لترتطم بها ، ثم ترك سيارته تقفز .. بل تطير في الهواء ،

حتى أن قائد المليونكوبتر الأمامية قد فوجئ بها في محاذاته تماماً ،

على ارتفاع عشرة أمتار ، وسمع (أدهم) يصرخ :

— القائد يا (سمير) .

وباستجابة رائعة مذهشة ، أدار (سمير) قُوَّة مسدسه ، وأطلق النار على رأس قائد الهليكوبتر تمامًا ، قبل أن تعاود سيارة (أدهم) هبوطها ، وترتطم إطاراتها بالأرض في قُوَّة ، ويتأوه الدكتور (أحمد) في آلام رهيبية ، وتقفز السيارة مرةً أخرى ، ثم تستقر أرضًا ، وتواصل اندفاعها ..

أما قائد الهليكوبتر ، فقد أصابت الرصاصة جبهته ، وانحرفت عنها ، فصرخ في ألم ، وأمسك جبهته هاتفاً :

— اللعنة !!

وهنا فقدت الهليكوبتر توازنها ، ومالت في عنف ، وصرخ

القناصان داخلها :

— كلاً .. احترس ..

ولكن قُرْب الهليكوبتر من الأرض ، كان يخول دون استعادة توازنها في الوقت المناسب ، ولقد كادت ترتطم بالهليكوبتر الأخرى ، لولا أن ارتفع بها قائدها في اللحظة الأخيرة ، وتحطمت مراوح الهليكوبتر على أسفلت الطريق ، ثم ارتطمت به في عنف ..

ودوى الانفجار ..

وخسر المطاردون سلاحًا جديدًا ..

* * *

ضرب (فتورا) سطح مكبته بقبضته ، وهو يصرخ في غضب :

— لقد فقدت هليكوبتر .. كيف يحدث هذا ؟ .. كيف

يمكن لرجلين عاجزين وشاب ، أن يهزموا ثلاث سيارات وهليكوبتر ؟

غمغمت (سونيا) في مزيج من المقت والسُخْط :

— لو أن (أدهم) وخذَه ، ما اختلفت النتيجة كثيرًا .

صاح بها في خنق :

— هذا الرجل ليس أسطورة يا (سونيا) .. إنه مجرد رجل

مخبرات ، مهما بلغت قُوَّته ، فهو مجرد رجل مصاب في ساقه .

غمغمت في مرارة :

— هناك من الرجال من يفوقون جيشًا كاملًا ، حتى ولو

بترت نصف جسداهم .

عقد (بلوميه) حاجبيه ، وهو يقول في ضيق :

— أتزيدينه يا (سونيا) ..؟ أم أنك تحاولين إحباطنا ؟
لُوحَتَ بذراعها ، وهي تهتف في سُخْطٍ :
— لا هذا ولا ذاك .. إنني فقط أسمى لجعلكم تقدرونه حقَّ
قدره .

هتف (فتورا) في غضبٍ :

— وما الذى سيضيفه ذلك إلى مانفعله ؟.. هه !!

عقدت حاجبها في ضيق ، وغمغمت :

— لست أدري .

ثم تمتمت في مرارة :

— على أية حال ، ما زالت لدينا هليوكوبتر أخرى .

ودمعت عيناها ، وهي تغمغم :

— ومن يذرى ؟..

تأوّه الدكتور (أحمد) في ألم ، عندما هبطت السيارة على
الأرض في قوّة ، وقفزت في عنف ، وصرخ وهي تعاود انطلاقتها
على الطريق :

— احترس يا (أدهم) .. إنك ستفعل ما يستعزّن إليه

هَمْ .. سنقتلنا .. إن ساقى تؤلّنى في شدّة .

غمغم (أدهم) :

— وكذلك ساقى .

هتف (سمير) في قلق :

— دَع لي عجلة القيادة يا سيّدى .. إنك تحتاج إلى بعض

الراحة .

أجابته (أدهم) في صرامة :

— ليس الآن .

وراح يراوغ الرصاصات المنهمرة ، بالانطلاق في خطّ

متعرج ، شديد التعقيد ، وهو يقول :

— حاول أن تصيب قائد تلك الهليوكوبتر الثانية

يا (سمير) .. حاول .

هتف (سمير) في مرارة :

— مستحيل يا سيّدى !! زاوية الانطلاق تجعل ذلك

مستحيلاً .

برقت عينا (أدهم) بغتة ، وهو يهتف :

— أنت على حقّ .

اعتدل (أحمد) ، وتناسى آلام ساقه بغتة ، وهو يقول :

— (أدهم) .. هناك نبرة غريبة في صوتك .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— وهناك نفق قريب أيضًا يا أخى العزيز .

تطلّع (أحمد) و (سمير) فى اهتمام إلى ذلك النفق القصير ،
الذى يبدو واضحًا ، على بعد كيلومترات قليلة ، والذى يُقْبَرُ
فوقه شريط القطار ، وغمغم (أحمد) فى توتُر :

— لست أخالك تتصوّر قائد الهليكوبتر بتلك الحمافة ،
بمِث تدفعه إلى الارتطام بالتَّفَق .

ابتسم ، وهو يقول :

— إننى لم أتصوّر هذا بالطبع .

عقد (سمير) حاجبيه ، وهو يسأله فى قلق ، متطلِّعًا إلى
الهليكوبتر ، التى تنقُص فى شراسة :

— ما الذى تسعى إليه باسيادة المقدم ؟

أجابته (أدهم) فى هدوء :

— اسمع يا (سمير) .. إننا الآن نسيح ضد التيار ، فى نهر

أسود بغيض ، يفيض بالكرهية ، والرغبة فى الانتقام .. وفى
مثل هذا النهر الأسود ، ينبغي لك أن تستغل أخطاء خصمك ،
وقصور نظره ، وتفكيره ، وهذا ما سأفعله .

غاصت فى تلك اللحظة رصاصة ، على قيد ستمتر واحد
من ساق الدكتور (أحمد) المصابة ، وأصابت أخرى حاجز
السَّيَّارة ، إلى جوار رأسه ، فهتف فى توتُر :

— أيًا ما كان ماستفعله ، أسرع يا أخى .. أسرع قبل أن
ينالنا أولئك الأوغاد .. أسرع .

ضغط (أدهم) دواسة الوقود بسَّيَّارته ، وهو يقول فى
هدوء :

— لن ينالوا مِنَّا بإذن الله .

وفى اللحظة نفسها ، عقد قائد الهليكوبتر الباقية حاجبيه ،
وهو يغمغم :

— أيَّة لحظة تدور ، فى رأس ذلك الشيطان ؟

رأى (أدهم) يندفع نحو النفق القصير ، فاستطرد فى
سُخَط :

— أيتصوّر أنا سندفع خلفه ، فنتحطّم هناك ؟

غمغم أحد القناصين المصاحبين له :

— سيكون أغشى رجل فى العالم ، لو أنه يتصوّر ذلك .
وهتف الآخر فى جدّة :

— اسبقه يا (ريمون) ، وستنظره عند مخرج النفق ،

و.....

بتر عبارته ، وأصدر من بين شفثيه صوتا ، أقرب الشبه إلى
طلق نارى ، فابتسم (ريمون) ، وغمغم :

— بالطبع .. هكذا يكون العمل .

وزاد من سرعة الهليوكوبتر ، بحيث غيّر خط السكك
الحديدية ، قبل أن تندفع سيارة (أدهم) داخل النفق ، وهو
يطلق ضحكة ساخرة ، هاتفاً :

— سيدرك ذلك الشيطان أنه لا يقا تل الأغياء ..

سيخبرونه بذلك فى الجحيم ..

وأطلق ضحكة شيطانية أخرى ..



٨ — إلى مونت كارلو ..

تصّبب العرق على وجه (فتورا) بغزارة تفوق المعتاد ،
وراح يلهث فى انفعال شديد ، وهو يقول :

— لقد اعترضت الهليوكوبتر الأخيرة طريق السيارة ،
وهى تنتظرها الآن عند مخرج نفق السكك الحديدية ، فى طريق
(مونت كارلو) .

عقدت (سونيا) حاجبيها فى شك ، وهى تغمغم :

— تنتظرها !؟

فى نفس اللحظة جاء صوت قائد الهليوكوبتر ، غيّر جهاز
اللاسلكى ، وهو يقول :

— اللعنة !!.. تلك السيارة اللعينة لم تغادر النفق ، لقد

بقيت داخله .

ازداد انعقاد حاجبى (سونيا) ، وهى تغمغم :

— بقيت !؟

وتراجعت لتجلس على مقعد منفصل ، وأشعلت واحدة من
سجائرها الرفيعة ، وهى تفكّر فى عمق ، على حين هتف

(فتورا) فى جدّة :

— لا ريب أن ذلك الشيطان يحاول التقاط أنفاسه ، قبل أن يواصل الانطلاق .

هتف (موروا) في انفعال :

— مُرْهَمٌ بِالْأَلَا يَدْعُوا لَهُ الْفُرْصَةَ لَدَيْكَ .

عقد (فتورا) حاجبيه في شدة ، وهو يقول :

— أنت على حق .

وراح يلهث في انفعال شديد ، وهو يقول ، غير جهاز

الأسلكي :

— اهبط أنت إليه يا (ريمون) ، وأرسل قناصينا خلفه ..

لو أنه يرغب في البقاء داخل النفق ، فليكن مثواه الأخير .

استمعت (سونيا) إلى صوت (ريمون) ، وهو يقول :

— سأفعل أيها الزعيم .

وإزداد انعقاد حاجبها في شدة ، وهي تغمغم في صوت

خافت ، لم يسمعه سواها :

— لماذا ؟! .. لماذا بقي داخل النفق ؟ .. ما الذي يسعى

إليه ؟

وفجأة ، اتسعت عيناها ، وهتفت :

— يا للشيطان !! .. النوافذ .

ثم هبت من مقعدها ، صارخة :

— كلاً يا (فتورا) .. مُرْهَمٌ بالتراجع .. مُرْهَمٌ بأن يفعلوا بأقصى سرعة .

حدق عمالقة (مارسيليا) الثلاثة في وجهها بدهشة ، قبل

أن يهتف (موروا) في توثر :

— ماذا تعين بحق الشيطان ؟

لوحث بكفياً ، وهي تهتف في دُغر :

— لا وقت للشرح أيها الحمقى .. مُرُوا الرجال بالعودة ،

وإلا اقتصهم (أدهم) وزميله .

صاح (فتورا) في غضب :

— كفى يا (سونيا) .. لسنا تابعين لك ، لنطيع أوامرنا

هكذا ، دون فهم أو مناقشة .. اشرحي لنا السبب أولاً .

اتتابها اليأس ، وألقت نفسها فوق مقعدها ، وهي تغمغم

في انبهار :

— إنها النوافذ .. نوافذ الهليوكوبتر ..

هبطت الهليوكوبتر إلى ارتفاع ثلاثة أمتار ، وتوقفت في

الهواء ، وراح قائدها والقناصان داخلها يراقبون النفق المُظلم

في قلق ، قبل أن يغمغم القائد في توثر :

— أين ذهبت تلك السيارة اللعينة بحق السماء ؟

غمغم أحد القناصين في قلق :

— لست أدري .. النفق مظلم تمامًا من الداخل .

عقد القائد حاجبيه في غضب ، وهو يقول :

— سأضئ مصباح الهليوكوبر داخله ، وسأحيل ظلمته

إلى ضوء النهار .

مال بالهليوكوبر لواجهة النفق ، ويضئ فيه مصباحها ..

وفجأة ، دوى صوت رصاصة ، حطمت مصباح

الهليوكوبر ، وقفز من داخل النفق شابٌ نشيط ، قال في

سخرية :

— مرحبًا .

ثم انطلقت رصاعته في رأس القائد تمامًا ..

وجحظت عينا قائد الطائرة الهليوكوبر ، وسقطت رأسه

فوق عصا القيادة ، وقفز أحد القناصين ، محاولاً التثبُّت

بالعصا ، ولكن الهليوكوبر مالت في شدة ، وقفز (سمير) إلى

الحلف ، حينما تحطمت مراوحها على الطريق ، وتطايرت في

غُف ، قبل أن تسقط أرضًا ..

ومن داخل النفق ، غمغم الدكتور (أحمد) مبهورًا :

— كانت شحنة رائعة يا (أدهم) .. لقد أجبرتهم على

الهبوط ، بحيث صارت نوافذهم في مستوى شبه أفقى ، جعل

(سمير) يجيد التصويب في مهارة .

ابتم (أدهم) ، وهو يتطلع إلى (سمير) ، قائلاً :

— (سمير) هذا شاب رائع يا (أحمد) .. وسيكون من

أعظم رجال المخابرات ، في المستقبل القريب .

ابتم (أحمد) بدوره ، وهو يقاوم آلامه ، مغمغماً :

— إنه يذكرني بك في شبابك .

أوماً (أدهم) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

— هذا صحيح ، وهو يتوقنى في الوقت الحالى .

وفجأة ، رآه (أحمد) يعقد حاجبيه في غضب ، فابتسم

مغمغماً :

— (أدهم) .. هل لغار منه ؟

سمع (أدهم) يقول في خنق :

— نعم .

وأمام عينيه المذهولتين ، انتزع (أدهم) مسدسه ، وأطلق

النار نحو (سمير) ..

نحوه مباشرة ..

أخفى (فتورا) وجهه المكتظ بين كفيه ، وراح يهتف في

خنق ومرارة :

— اللعنة !! .. اللعنة !! .. لقد فقدت الهليوكوبر الثانية ..

لقد أفقدني إيَّاهَا ذلك الحقيق .

هتفت به (سونيا) ، بعينين محمّرتين ، نصف باكيتين :
— بل أنت فقدتها بحماقتك .. كان ينبغي أن تطيع الأمر .
صرخ في هياج :
— أى أمر ؟ .. إننى هنا السيد .. الجميع يطيعون أوامرى ،
وأنا لا أطيع أوامر أحد .
عقد (بلوميه) حاجبيه ، وهو يقول :
— بالنسبة لرجالك فقط .
أما (سونيا) ، فقد لوّحت بذراعها في خنق ، وهى تهتف :
— لقد أضعم كل شيء .. فقدنا زمام المبادرة ، وزمام
سيطرتكم .. فقدنا كل شيء .
صاح بها (موروا) في غضب :
— احترسى أيّتها الفتاة .. إنك تتجاوزين حدودك .
صرخت في مرارة :
— إننى أذكر الحقيقة .. لقد فشلتم .. فشلتم .. لقد اعترفتم
بأنفسكم أنه ليست لكم أيّة مطوّرة في (مونت كارلو) ، التى
يتجه إليها (أدهم) الآن ، ولقد اقترب منها كثيرا ، حتى أن
أيّة هليوكوبتر أخرى ، تتطلق خلفه الآن ، لن تلحق به أبدا ،
قبل أن يصل إلى مطار (مونت كارلو) .. وهذا يعنى الفشل ..
الفشل التام .

هتف (بلوميه) في صرامة :
— كفى يا (سونيا) .
ثم قتل شاربه الضخم ، وهو يقول في حسم :
— إننا لم نفضل بعد ، كما تتصوّرين .
صاحت في ألم :
— ولم نريح أيضا .
هتف في جدّة :
— من قال هذا ؟
والتقى حاجباه ، وهو يستطرد في لهجة قويّة :
— إننى لم أقل كلمتى بغد .. وستعلمون وترون جميعا ،
كيف أن (بلوميه) هو الذى ينتصر فى النهاية .. دوماً ..
* * *
اتسعت عينا الدكتور (أحمد) وهتف في دُعر :
— ماذا تفعل ؟
ولكن رصاصة (أدهم) لم تصب (سمير) ، بل تجاوزت
رأسه بستيجمات قليلة ، واستقرّت في عنق أحد القناصين ،
الذى أطلّ من نافذة هليوكوبتر العظيمة ، حاملا مدفعه
الرشاش ، فصرخ في ألم ، وسقطت رأسه على زجاج النافذة ،
فهتف (سمير) :

— يا إلهي !! لقد أنقذت حياتي بآسادة المقدم .
 أعاد (أدهم) مسدسه إلى غمده ، وهو يغمغم مبتسماً :
 — من الطبيعي أن أسعى للدفاع عن خليفتي .
 تهللت أسايرير (سمير) ، وأعاد مسدسه إلى غمده بدوره ،
 وهو يتجه إلى السيارة ، هاتفاً :
 — يا إلهي !.. أنت لا تتصور كم تسعدني بهذا القول
 بآسادة المقدم ، فهذا حلم لا يجرؤ الكثيرون على أن يخلّموا به .
 ضحك (أدهم) ، وهو يقول :
 — ليس إلى هذا الحد .
 ثم أضاف بالفرنسية في مزح :
 — ولكنك حقاً الرجل المناسب .
 وهنا ارتفعت صرخة غاضبة ، تهتف :
 — للموت .
 ومن فوهة المدفع الرشاش للقناص الثاني ، ومن موقع
 المليونكوتير الخبطمة ، انطلقت رصاصات نهر أسود جديد ..
 نهر الانتقام ..



ولكن رصاصة (أدهم) لم تصب (سمير) ، بل تجاوزت رأسه بستيمترات
 قليلة ، واستقرت في عنق أحد القناصين ..

٩ - البطل ..

في هذه المرة ، أثبت (سمير) حقًا ، أنه يستحق أن يكون خليفة (رجل المستحيل) ..
لقد تحرك على نحو يدعو للإعجاب ، تحت أى مقياس ..
لم يكذب يسمع صوت القناص الثاني ، الذى أفاق من تلك الغيبوبة ، التى أصابته لدى ارتطام اهلوكوبتر بالأرض ،
والذى حمل مدفعه الرشاش ليتنقم لزميله ، حتى عاد ينتزع مسدسه من غمده ، ويقفز أرضًا ، ويدور حول نفسه بحركة رشيقة بارعة ، ويطلق النار ..
وأصابته رصاصة رأس الهدف ، بدقّة مذهشة ..
وبين عيني القناص تمامًا ، استقرّت رصاصة (سمير) ..
وجحظت عينا الرجل ، وانطلقت رصاصات مدفعه الرشاش في الهواء ، ثم سقط جثة هامدة ..
و في هدوء ، اعتدل (سمير) ، ونفخ الدخان من فوهة مسدسه ، ثم أداره بين أصابعه في مهارة ، تشبه مهارة رعاة البقر الأمريكيين ، في أفلام (هوليوود) ، قبل أن يُعيده إلى غمده ، ويلتفت إلى (أدهم) مبتسمًا ، قائلاً :

— ما رأيك ياسيدى ؟ هل أستحق اللقب ؟

هتف الدكتور (أحمد) في حماس :

— بالتأكيد .

أما (أدهم) ، فقال في هدوء :

— إلى حدّ ما .

عقد (سمير) حاجبيه في قلق ، وهو يغمغم :

— أهنأك ملاحظات ؟

أجابته (أدهم) في برود :

— نعم .

هتف (أحمد) في حماس :

— زوّيدك يا (أدهم) .. الفتى رائع بحق .

قال (أدهم) في هدوء :

— ولكنه لا يحسن التصويب .

ارتفع حاجبا (أحمد) في دهشة ، وهو يهتف :

— لا يحسن ماذا ؟! إنه أبرع من رأيت في هذا المجال ،

حتى أنه لا يقوّه سواك .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول في صرامة :

— خطأ .

ثم اضاف في غضب :

— إنني لا أقتل خصومي بهذه البساطة ، فالقتل أمر بشع ،
لا ينبغي أن يلجأ إليه المرء أبداً ، إلا للضرورة القصوى .

غمغم (سيمير) معترضاً :

— ولكن هذا الرجل كان سيقتلنا .

قال (أدهم) في هدوء :

— كان ينبغي أن نطلق النار على سلاحه فحسب .

أشار خلفه ، هاتفاً :

— ولكنك أطلقت النار على رأس الآخر .

غمغم (أدهم) في ضيق :

— كنت أنت تحول بجسدك بيني وبينه ، ولم يكن أمامي

سوى قتله .

تهدأ (سيمير) ، وقال :

— سأذكر ذلك مستقبلاً .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— أنا واثق من أنك ستفعل .

ثم انتقل إلى المقعد المجاور للسائق ، وهو يستطرد :

— أما الآن ، فستعود السيارة إلى (مونت كارلو) ،
فساق تؤلني في شدة .

هتف (أحمد) في قلق :

— (أدهم) .. أنت تحتاج إلى إسعاف عاجل ، وإلا
تورمت ساقك في شدة .

أرغى (أدهم) جفنيه ، وقال :

— فيما بعد يا أخي العزيز .. فيما بعد .. عندما نصل إلى
(القاهرة) .

وتهدأ قبل أن يستطرد :

— هناك فقط سأشعر بالارتياح .

واسترغى في مقعده ..

وترك (سيمير) ينطلق بالسيارة إلى (مونت كارلو) ..

عقدت (سونيا جراهام) حاجبيها في شدة ، وهي تتطلع

إلى (بلوميه) ، قائلة في انفعال :

— وماذا لديك يا مسيو (بلوميه) ؟ .. ما تلك القوة ، التي

تستد إليها ، حتى تؤكد أنك لم تقل كلمتك بغد .

ابتسم في ثقة وهدوء ، وهو يقول :

— يكفى أن (مورييس) وباقى رجالى قد وصلوا الآن إلى
(مونت كارلو) ، قبل أن يصل إليها شيطانك .

هزّت رأسها ، قائلة :

— كلاً .. هذا لا يكفى ، فلستم تملكون رجال الشرطة
هناك ، ولا القضاة .

السمعت ابتسامته ، وهو يقول :

— ولكن لنا سَطوة رهيبة .

هتفت فى سُخْط :

— سَطوة ماذا ؟

انتزع من جيب سترته رزمة أوراق مالية ، لُوْح بها فى
وجهها ، هاتفاً :

— سَطوة هذا .. سَطوة المال .

ثم أعاد الرّزمة إلى جيبه ، مستطرذاً فى فخر :

— إنه السلاح الصالح لكل مكان وزمان .

بدأ منطقته يجذبها ، ويجذب عملاق (مارسيليا)

الآخرين ، فسأله (موروا) فى اهتمام :

— وماذا سيفعل المال ؟

ابتسم (بلوميه) ، وهو يقول :

— سيعود بنا إلى الوسائل القديمة ، التى تستنكرها عزيزتنا

(سونيا) ، وستضمن لنا الفوز بعُق ذلك الشيطان المصرى .

والتقط نفساً عميقاً من سيجاره ، ونفثه فى الهواء ، قبل أن

تتسع ابتسامته ، وتمتلئ بالثقة ، وهو يستطرد فى زهو :

— وستروُن .

« لست أفهم شيئاً .. »

غمغم الدكتور (أحمد) بتلك العبارة فى ضيق واضح ، قبل

أن يكرّرها فى صوت مرتفع :

— لست أفهم شيئاً .

ابتسم (أدهم) فى استرخاء ، وغمغم دون أن يفتح عينيه :

— ما الذى لا تفهمه يا أخى العزيز ؟

هتفت فى حِدّة :

— لست أفهم لماذا كل هذا العذاب ، مادعمم ستقلوننى

فى النهاية إلى (القاهرة) ؟! .. لماذا لم تفعلوا ذلك منذ البداية ؟

تههّد (أدهم) ، وهو يقول :

— لقد كان هذا هو أوّل ما دار بخلدنا يا أخى العزيز ،

ولكن هؤلاء الأوغاد دفعوا المستشفى إلى أن يُرسل لنا تقريراً

مُزَيِّفًا ، يُؤكِّد فيه خطورة انتقالك تمامًا ، ثم إنني قد خشيت ألا
أحضر ، فيدفع هذا أولئك الأوغاد إلى اتخاذ إجراء وحشي ،
يعرِّض حياتك للخطر .

وصمت لحظة ، ثم استطرد في خنق :

— إنه نهر أسود يا أخي .. نهر يفيض بالمقْت والكراهية
والخنق .. نهر كيب بغيض ، ولم يكن أمامي — للأسف —
سوى أن أخوضه ، ولعل هذا ما أعاد إليّ لفتنى بنفسى .

هتف (أحمد) في خنق :

— وما يعرِّض ساقلك لخطر البتر .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— دُعْنَا نأمل ألا يحدث ذلك يا أخي .

ثم أطلق ضحكة ساخرة ، وقال :

— وإلَّا أقامت أجهزة مخبرات جنس دول على الأقل

احتفالًا ضخماً .

ضحك (أحمد) ، وهو يقول :

— يالك من رجل !

ابتسم (أدهم) ، وهو يشير إلى لافضة أنيقة ، قائلاً :

— هيا أيها السيدان .. استعدا ، وتأنقا ، فلقد بلغنا نهاية

المطاف تقريبًا .. إننا على بعد خمسة كيلومترات فحسب من
(مونت كارلو) .

ضحك (سمير) ، وهو يقول :

— تصوّر أن ندخل مدينة أصحاب الملايين ، بهذه الهيئة

الزُرِّيَّة ، وسيّارة نصف محطّمة ، خالية من الوقود تقريبًا ، وبلا

سقف .

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— هذه هي الموضة الجديدة يا صديقى .. هيا .. انطلق إلى

(مونت كارلو) .

ارتفع رنين الهاتف ، في مكتب (فتورا) .. المطلّ على ميناء

(مارسيليا) ، فامتدّت يد هذا الأخير إلى سمّاعته ، ولكن يد

(بلوميه) كانت الأسرع ، فاخطفقت السمّاعة في لفحة ، وهو

يقول :

— معذرة يا عزيزى (فتورا) .. هذه المحادثة لى أنا .

هتف (فتورا) في استكثار :

— على هاتفى الخاص ؟!

ابتسم (بلوميه) في هدوء ، ووضع السمّاعة على أذنه ،

قائلاً :

— هنا (بلوميه) .

تألفت عيناه في شراسة ، وهو يستمع إلى محدثه ، قبل أن يقول :

— حسنًا .. كلاً .. اكتفوا بمراقبتهم فحسب ، حتى يصلوا إلى المطار ، وهناك افعلوا ما أمرتكم به .

ثم أعاد السَّماعة ، فهتفت به (سونيا) في توثر :

— هل وصل (أدهم) إلى (مونت كارلو) ؟

ابتسم في ثقة ، وهو يقول :

— الثلاثة وصلوا إلى هناك .

صاحت في شراسة :

— ينبغي ألا يسمح لهم رجالك بالوصول إلى المطار إذن ،

فلو فعلوا فسندخر كل شيء .

ألسعت ابتسامته ، وهو يقول في ذهاء وغموض :

— على العكس يا عزيزتي (سونيا) .. إننا سننتصر

حينذاك ، فأنت تريدين ذلك الشيطان المصري .. وأنا كذلك ،

ولكن طريقتي تختلف عن طريقتك .. إنني سأدفعه إلى أن يأتي

هو إلى ، جالياً على ركبتيه ، ويرجوني أن أقتله .

عقدت حاجبها في توثر ، وهي تقول في جدّة :

— أيج هُراء هذا ؟

ضحك في ثقة ، وهو يقول :

— ليس هُراءً يا عزيزتي (سونيا) .. بل ذكاء ، وسترين

كيف أتي سأنتصر في النهاية .. فُولي وداغا لشيطانك المصري

(يا سونيا) .. إنه يلتقط الآن أنفاسه الأخيرة ..

* * *



١٠ — نهر الحقد الأسود ..

أوقف (سمير) السيارة أمام مطار (مونت كارلو) ، وهو يتبسم ، قائلاً :

— جوازات سفركم أيها السادة .. مستطلق بعد ساعتين إلى (القاهرة) .

ثم غادر السيارة ، وعاون (أدهم) على النزول ، وهو يستطرد :

— والقيب (سمير) في خدمتكم .

وأشار إلى الدكتور (أحمد) ، هاتفاً :

— انتظر كما أنت ياسيدى .. سأجد حتماً مقعداً متحركاً هنا ، في مكتب خدمة المواطنين .

أسرع إلى الداخل ، فابتسم (أحمد) ، وقال :

— إنه شعلة نشاط .

ابتسم (أدهم) بدؤره ، وهو يقول :

— ألم أقل لك إنه خليفتى ؟

لم يكذب يتمُّ عبارته ، حتى عاد (سمير) من الداخل ، وهو يدفع أمامه مقعداً متحركاً ، هاتفاً في مَرَحٍ :

— ألم أقل لكما ؟

وراح يعاون الدكتور (أحمد) على الانتقال إلى المقعد المتحرك ، ودفعه أمامه إلى داخل المطار ، وهو يقول لـ (أدهم) في اهتمام :

— عجباً !! .. ألم تلاحظ كيف أنك لم تغد تعرج في شدة ، كما كنت أمس بامسادة المقدم ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يقول :

— بلى .. يبدو أن تلك الساق اللعينة كانت تحتاج إلى بعض التدريبات فحسب .

ضحك (سمير) ، وهو يقول :

— نعم .. يبدو ذلك .

توقف الثلاثة أمام ضابط الجوازات ، وناوله (سمير) جوازات سفر ثلاثهم ، وهو يقول في مَرَحٍ :

— إلى (القاهرة) ، على أول طائرة .

رمقه ضابط الأمن بنظرة باردة ، بخلاف المهود في رجال أمن (مونت كارلو) من الابتسام والمَرَح ، وروح المؤدَّة ، ثم أدار عينيه إلى قدم الدكتور (أحمد) ، التي أحيطت بغلاف من

الجبس اليابس والأربطة ، وقال :

— أتحملون أية ممنوعات ؟

قال (أحمد) مازحاً :

- لو استثيت عقولنا ، فلننا نحمل شيئاً .
 أشار إلى جيرة الدكتور (أحمد) ، وهو يقول في صرامة :
 — وما الذى تخفيه هذه ؟
 هتف به (أحمد) في غضب :
 — ساق مكسورة ، ولدى تقريرٍ بذلك ، و
 قاطعه الضابط في صرامة ، وبروح عدائية :
 — لا بُدَّ من تفتيشها .
 هتف (أدهم) في صرامة :
 — لن نسمح بتحطيم تلك الجيرة ، وتعريض ساق أخى
 للخطر .
 ابتسم الضابط في سُخرية ، وهو يقول :
 — ومن ذكر أمر التحطيم ؟ .. هناك وسائل أكثر رقيًا ،
 كصور الأشعة مثلاً .
 كاد (أدهم) يعترض مرّة أخرى ، لولا أن أمسك
 (أحمد) معصمه ، وهو يقول في توتر :
 — لا بأس يا (أدهم) .. ذع الرجل يؤذى واجبه ، حتى
 لا نضيع مزيداً من الوقت .
 عقد (أدهم) حاجبيه في صرامة ، وهو يقول :
 — سأذهب معك .
 هتف الضابط في غلظة :

- سيذهب وخذه .. هذه هي التعليمات .
 قال (أدهم) في جدّة :
 — هل لي أن أطلع على تلك التعليمات ؟
 صاح الضابط في صرامة :
 — كلاً .. ليس لك هذا الحق .
 هتف (أحمد) :
 — كفى يا (أدهم) .. الأمر لا يستحق كل هذا .
 ثم التفت إلى ضابط الأمن ، قائلاً :
 — هيا بنا .
 ابتسم الضابط في ظفر ، ودفع المقعد أمامه إلى رواق
 قريب ، حيث اختفى في إحدى حجراته ، وغمغم (أدهم)
 في خنق :
 — يا للسخافة !
 ربّت (سمير) على كتفه ، وهو يقول في هدوء :
 — لا عليك ياسيدى .. هذا لا يساوى شيئاً ، أمام كل
 ما واجهناه حتى الآن .
 تنهّد (أدهم) في غمق ، وهو يغمغم :
 — صدقت .

ثم جلس على مقعد قريب ، مستطرذا :
— المهْمُ ألا يستغرق ذلك وقتا طويلا .

وتعم (سمير) ، وهو يتسبم في هدوء :
— لن يفعل بإذن الله .. إنه

وفجأة ، بتر عبارته ..

بترها وهو يحدق في نقطة ما ، في الرواق ..
لقد كان ضابط الأمن يقف هناك ، ويتسلم جلسة رزمة من
الأوراق المالية ، من رجل أنيق ، على حين كان هناك رجل آخر
يدفع مقعد الدكتور (أحمد) المتحرك خارج الحجرة ، ويسرع
به في الرواق ..

وهتف (سمير) ، وهو ينتزع مسدسه :
— اللعة !!

وأطلق النار نحو الرجل الأنيق ..

أصاب الرصاصة هدفها تماما ..

وصرخ الرجل الأنيق ألما ، ثم سقط أرضا ..

أما ضابط الأمن ، فقد شهق في زغب ، وتراجع في غنف ،
وهو يقبض على رزمة الأوراق المالية في استماتة ، على حين راح
الرجل الذي يدفع المقعد أمامه يعدو بأقصى سرعة ، وكأنما
يرغب في بلوغ نهاية الرواق بأى ثمن ..

وبقفزة رائعة ، تجاوز (سمير) ذلك الحاجز ، الذي كان
يفصله عن ضابط الأمن ، وانطلق يعدو داخل الرواق ، هاتفا :
— أيها الأوغاد .

أما (أدهم) ، فقد انتزع مسدسه بدؤره ، وراوده شعور
بالغضب والحنق ، وهو يضطر للدوران حول الحاجز ، بعد
أن عجزت قدمه المصابة عن القفز غيره ، وانطلق يعدو بقدر
ما تسمح به إصابته ، نحو (سمير) ، وقد أدرك الأمر كله من
النظرة الأولى ..

وتوقف (سمير) صائحا :

— توقف أيها الوغد .

كان الرجل الذي يدفع المقعد قد بلغ نهاية الرواق تقريبا ..
وكان من الواضح أنهم قد أفقدوا الدكتور (أحمد) وغيبه
بوسيلة ما ..

وكان مسدس (سمير) مصوفا إلى رأس الرجل تماما ..

ولكن ..

يا لها من كلمة ، تعرض كل الأحداث ، وتقلب كل
الموازن ..

لقد انطلقت رصاصة بالفعل ..

ولكنها لم تكن رصاصة (سمير) ..

إنها لم تنطلق من مسدسه ، ولم تصب رأس الرجل ..
لقد انطلقت من مسدس ضابط الأمن الحائن ..

وأصاب البطل ..

أصاب (سمير) في ظهره ..

في موضع القلب تمامًا ..

توقف (أدهم) في غضب ، عندما رأى الرصاصة تصيب
(سمير) ، وهتف في ثورة :

— أيها الخقراء .

ولكن موضعه لم يكن يسمح له بإصابة رجل الأمن ، الذي

يختفي داخل حجراته ..

إلا أن (سمير) كان يستطيع ..

لقد دار حول نفسه ذؤونة أعمى ، وهو يهتف :

— أيها القلْبِر .

وانطلقت من مسدسه رصاصة أعمى صالبة ..

وجحظت غينا رجل الأمن ، عندما اخترقت الرصاصة

جبهته ، وسقط جثة هامدة ..

ولكنه لم يسقط وخذه ..

لقد ارتج المطار كله بصرخة (أدهم) ، وهو يهتف :

— (سمير) ..

واندفع نحو زميله ، وانحنى يفحصه ، إلا أن (سمير) قال

في حزم :

— أخبر أبى أنتى قد مك بطلا .

غمغم (أدهم) في حزن ومرارة :

— سأفعل .

ابتسم (سمير) ، وغمغم في إعياء :

— معذرة يا (رجل المستحيل) ، لن أخلفك .

ثم تراعى رأسه ، وفقدت عيناه بريق الحياة ، فأرقده

(أدهم) أرضاً ، ثم هبّ واقفاً ، وفي أعماق قلبه ، تدفق نهر

أسود آخر ..

وفجأة ، تذكر أخاه ، فهتف :

— يا إلهى !! .. (أحمد) !!

اندفع يقهر الرواق في ثورة ، وهو يهتف :

— (أحمد) !!

ولم يكذب يبلغ نهايته ، حتى رأى المقعد المتحرك ملقى وسط

ممر الإقلاع ورأى طائرة خاصة صغيرة تندفع فوق الممر ..

ومرأة أخرى شعر بخنق وسخط ومرارة ، لا مثيل لها ..

إنه الآن يدفع ثمن عجزه ..

لو حدث هذا منذ ثلاثة شهور فقط ، لانطلق خلف الطائرة
كالصاروخ ، ولتعلق بجناحها ، أو ذيلها ..

أما اليوم فهو عاجز ..

عاجز عن مطاردها ..

عاجز عن إنقاذ أخيه ..

وبكل الغضب والمرارة ، صوب مسدسه إلى عزّان الوقود
بالتائرة ، التي تبعد في سرعة ، ثم لم يلبث أن خلفته ، وهو
يهتف في مرارة :

— ماذا ستفعل يا (أدهم) ؟.. هل تفكر في نفسك

بالتائرة ؟.. أنسيت أيها الثعبان أن شقيقك على متنها ؟..

أنسيت ؟

تضاعفت مرارة المزمنة في خلقه ، وهو يستطرد :

— لقد خيبت هذه المرة يا (أدهم) .. لقد خيبت

حقاً .. خيبت كل شيء .. أخاك .. (سمير) .. كل شيء ..

ثم تألقت عيناه فجأة ببريق غاضب ..

وفي عروقه سرّت رغبة هائلة في الانتقام ..

حقد هائل ملأ كل حواسه ..

نهر أسود عنيف ، نبضت به عروقه ..

وفي صرامة وحزم ، ضم قبضته ، وهو يهتف :

— كلاً .. المعركة لم تنته بعد .. لم تنته ..

وكان على حق ..

أعاد (بلوميه) سماعه الهاتف ، وعيناه تتألقان في ظفر

هائل ، حتى أن (سونيا) قفزت إليه ، وهي تهتف في لهفة :

— هل ظفروا به ؟

أجابها مبتسماً في زهو :

— تقريباً ..

هتفت في غضب :

— ماذا تعني تلك الإجابة السخيفة ؟.. إما أنهم قد ظفروا

به أو لا ..

ابتسم متجاهلاً غضبها ، وهو يقول :

— لقد قتلوا رفيقه الشاب ، ونجحوا في اختطاف شقيقه ،

ذو الساق المكسورة ، وسيأتون به إلى هنا ..

امتنع وجه (سونيا) ، وهي تقول :

— ماذا ؟

أطلق (بلوميه) ضحكة ظافرة ، أثار حسد (موروا)

(و فتورا) ، وهو يتناول زجاجة من زجاجات الكونياك ،

التي يكتظ بها مكعب (فتورا) ، ويصب أربع كنوس ، ويرفع
إحداها بيده عاليًا ، وهو يهتف :

— نخب القضاء على ذلك الشيطان المصري .

غمغمت (سونيا) :

— لقد أخطأت .

هتف في دهشة :

— أخطأت؟! ماذا تقولين يا عزيزتي (سونيا) ؟.. لقد

انتصرت تقريبًا .. لقد بلغت نصف النجاح .

قالت في مرارة :

— بل أيقظت عملاً ، لن تقدر قوة رجالكم مجتمعين على

التصدى له .. إنك لم تعد تواجه رجلاً رهيباً فحسب .. بل

مارداً غاضباً ، يسرى الانتقام في عروقه منجزي الدم .

أطلق ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

— حسناً يا عزيزتي (سونيا) .. سنريق ذلك الانتقام من

عروقه ، بدلاً من الدم .. وسترين .

ارتجفت ، وهي تغمغم :

— نعم .. كلنا سنرى ..

ومرّة أخرى ارتجفت جسدها كله ، وهي تنتظر الجولة

الثانية ..

جولة الانتقام ..

[انتهى الجزء الأول ، ويليه الجزء الثاني] (عمالقة مارسيليا)



د. نيل فاروق

رجل

المستحيل

سلسلة

روايات

بوليسية

لشباب

زائفة

بالأحداث

المشيرة



الشمع في مصر

وما يعادله بالدولار
الأمر يكتفي في سائر
استنول العمدة

النهر الأسود

- هل يمكن أن يعود (أدهم صبرى) إلى عمله ، بعد إصابته ، في مغامرته الأخيرة ؟
- ما تلك الحطة الانتقامية السوداء ، التي أعدتها (سونيا جراهام) لـ (أدهم صبرى) ؟
- ثرى لمن يكون النهر ، في تلك المواجهة الجديدة ، في نهر الخند الأسود ؟
- القرى الضاحيل المثيرة للثرى كيف يعمل (رجل المستحيل) .



العدد القادم : عمالقة مارسيليا